



عبد المصطفى السيد



ديوان

عبد المصطفى السيد

م. السيد



منشورات
للطباعة والنشر والتوزيع



0100884



Bibliotheca Alexandrina

81

عباس محمود العقاد

الحاضر مغرب



اسم الكتاب: إحصاء مصر

اسم المؤلف: عباس محمود العقاد

تاريخ النشر: يناير ١٩٩٧

رقم الإيداع: ١٣٩٧٨/١٩٩٦

الترقيم الدولي: 5-0536-14-977 I. S. B. N

تصميم الغلاف: م / محمد العنتر

التأليف: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٨ المنطقة الصناعية الزاوية

مدينة السادس من أكتوبر

ت: ٢٨٧ - ٢٨٩ / ٢٣ / ١١

فاكس: ٢٩٦ / ٣٢ / ١١

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صيدى - العقالة - القاهرة

ت: ٩٨٢٧ - ٩٨٩٥ / ٥٩ - ٢ / ٢

فاكس: ٣٣٩٥ / ٥٩ - ٢ / ٢

ص ب: ٩٦ العقالة

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد مرسى - الهندسين - القاهرة

ت: ٢٤٦٦٤٣ - ٢٤٧٢٨٦٤ / ٢ / ٢

فاكس: ٢٤٦٢٥٧٦ / ٢ / ٢

ص ب: ٢٠ أمينة

الإهداء

إيه يا من أَوحت الشعر وخانت شاعره
لك أهديه لَوحيك

إيه يا من ليس يوحيه ويمسى ذاكرة
لك أهديه لرعيك

هكذا أبرأ في الحالين من حمد خيانة
وأصون العهد ممن رام شعري بصيانة
وأدارى حيرتى خافية أو ظاهرة !

المقدمة

فى اسم الديوان

شاعرٌ نرجع إليه كما نرجع إلى الصديق الذى نأنس به
ونستطيب الكلام والصمت معه .

وشاعر نرجع إليه كما نرجع إلى الكتاب الذى نستمتع به
ونحب القراءة فيه .

وبين الشاعرين فارق . فما هو ؟ أكون الأول أصدق فى
الشاعرية وأجزل فى العبارة وأجود فى الصناعة وأجمل فى
الأسلوب ؟

قد يكون كذلك .

ولكنه كذلك قد لا يكون .

لأن الصديق الذى نأنس إليه ونستطيب الكلام والصمت معه
لا يلزم أن يكون خيرًا من الغريب الذى لم نعرفه ولم نأنس إليه .
فقد يكون بين الغرباء من هو أفضل من أصدقائنا خلقًا وأجمل
سمتًا وأطيب سيرة . وإنما يحبب الصديق إلينا أنه يشاركنا فى
الشعور ويعيش معنا فى عالم نفسانى واحد ، وتلك بعينها هى
مزية الشاعر الصديق على الشاعر الذى نقرأه ولا نشعر له بصداقة .
فهو ينظر إلى الدنيا كما ننظر إليها ويحس بها كما نحس بها ، وإن
لم يكن كذلك واختلفت بيننا وبينه وجهة النظر ومذاهب التفكير
فلعله مع هذا أقرب إلى تعزيتنا والنفاذ إلى ضمائرنا من شعراء

آخرين لا يبثون فى نفوسنا العزاء ولا يعرفون إلى ضمائرنا طريق
نفاذ . أما الشاعر الذى نقرؤه ولا نصادقه فقد يجيد ويفضل غيره
فى الإجابة ولكنه غريب نلقاه كما نلقى كل غريب .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة
العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوروبية ليوباردى ، وهنريك هينى ، وتوماس
هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين والمعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم
الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«أنظرُ إلى المرأة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى
الله مبتهلاً إليه : أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلباً يذبل مثل
هذا الذبول !

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا أكم ولا أحزن ،
وإننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن
وسمت وقور .

غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا
يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف
هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة
واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته
لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ
للأعاصير .

أعاصير مغرب ، اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . . لأنه نظم وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره ، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولاً فى القلب كذبول إهابه .

ورأيت فى الغزل الذى نظمه هاردى بين السبعين والثمانين ليس بالرأى الحديث ، فلم أعجب به اليوم لأننى صاحب ديوان بعد «وحى الأربعين» . . . بل أعجبت به لأننى كنت أرى فى زمن الفتوة أن الشعور والتعبير لا ينتهيان بانتهاء الشباب ، ومتى بقى الشعور والتعبير فما الذى فنى من مادة الغزل والغناء ؟ .

واتفق منذ بضع عشرة سنة أننى كتبت فى هذا المعنى^(١) وأن كتابتى فيه كانت بصدد الكلام عن هاردى الذى أوحى إلى اليوم اسم ديوانى الجديد . فأتيت على غزله أجمل ثناء ، وقلت أجيب الأديب الأستاذ سيد قطب الذى استغرب إجادة هاردى شعر الغزل فى السبعين من عمره : «إن المسألة بعد ليست مسألة نظريات يرجع فيها إلى تباين الآراء والأذواق ، وإنما هى مسألة حقيقة لا ريب فيها ولا اختلاف عليها . إذ كل ما يجب علينا لنقول إن الشيخوخة تجيد الغزل أحياناً . . . هو أن نعلم أن توماس هاردى نظم شعر الغزل بعد السبعين وأن ما نظمه بعد تلك السن كان جيداً مقبولاً رضى عنه قراء الشعر واستزادوه ، وأنه كان هو من أسباب تلك الشهرة الذائعة التى أحرزها فى عالم الشعر بين قراء

(١) البلاغ الأسبوعى ٩ مارس سنة ١٩٢٨ .

الأدب الرفيع بعد اشتهاره بالرواية وحدها فى سن الشباب . فهل نظم توماس هاردى غزلاً جيداً بعد السبعين؟ ! نعم . . . وإذا كانت نعم هى الجواب الذى لا بد منه فلا حيلة للنظريات ولا لتعريفات الشباب والحب والغزل فى نفى هذه الحقيقة المقررة . . . » .

ثم قلت : «على أننا لو فرضنا أن توماس هاردى لم يُخلَق فى هذه الدنيا ولم يكن بين أيدينا هذا المثل القريب - ولا مثل غيره من الشعراء الشيوخ الذين ساهموا فى المعانى الغزلية وبلغوا فيها بعض الإجادة أو كلها - فهل تمنعنا النظريات ومراقبة الظواهر النفسية أن ننتظر المعانى الغزلية بعد انقضاء الشباب؟ أما نحن فنقول : لا ؛ لأن الحب شىء والغزل شىء غيره ، وإن كان الحب هو موضوع الغزل والمعنى الذى يدور عليه . »

«فالحب» عاطفة شائعة بين الناس ، بل شائعة بين من ينطق وما لا ينطق . ولسنا نعنى الصلة الجسدية التى تنقضى بانقضاء دوافع الفطرة فإن هذه لا تسمى حباً ولا هى من العلاقات القائمة بين فرد بعينه وفرد آخر بعينه ، لأنها فوضى مشتركة بين جميع الذكور وجميع الإناث من فصيلة واحدة .

«ولكننا نعنى الصلة النفسية التى تجمع الفردين معاً بعلاقة لا يغنى فيها أى فرد آخر من الفصيلة . وقد ثبت للباحثين فى طبائع الأحياء أن بعض الطيور والحيوانات تتزاوج مدى الحياة وينتقل الذكر والأنثى منها آلاف الفراسخ بين أوروبا وأفريقية ثم يعودان من تلك الرحلة إلى حيث كانا سنة بعد سنة حتى يموت أحدهما أو يعتاقه عائق لا قدرة له عليه .

فالحب على هذا لا يستلزم الغزل لا فى الإنسان ولا فى غيره من الأحياء ، وإذا قلنا : إن لكل حى غزله الذى ينطق بما فى نفسه فليس يسعنا أن نقول : إن كل محب شاعر ، وإن كل متغزل فنصيبه من الحب مثل نصيبه من الغزل على السواء .

«إن الذين يقتلون أنفسهم حباً من غير الشعراء الغزليين أكثر جدّاً من الذين يبلغون فى الحب هذا المبلغ بين أولئك الشعراء . فلا ريب أن الشاعر لا يحسن الغزل بغير حب ، ولكن لا ريب كذلك فى أن الحب قد يعلو حين يهبط الغزل ، وأن الغزل قد يعلو حين يهبط الحب ، على درجات لا تناسب بينها فى العلو والهبوط» .

«... والشباب هو سن احتدام الشعور وهجوم الحياة ، ولكن أى شباب وأى شعور ؟ فقد يقضى الفتى أوائل شبابه ولا معنى للحب عنده إلا أنه «وظيفة فزيولوجية» مبهمة يساق إليها بغير هداية ولا تمييز . وقد يطلب الشريك فى الحب وهو لا يعلم ما الذى يطلبه فيه وما الذى يأخذه منه وما الذى يعطيه ؟ لأن الحب عنده هو جوعة جسدية أو نفسية يشبعها أى شريك يصادفه ويلفيه على مثل حاله من الرغبة والاشتياق . وقد يكون احتدام شوقه ناقصاً من حبه ، كما أن احتدام الجوع فى الجائع يغنيه بكل طعام حاضر ، ويجعل الأكل هو المقصود لذاته ، لا الصنف ولا الطعم الذى يميز ذلك الصنف من سواه» .

«والحب على أتمه وأعمه وأقواه هو تفاهم بين نفسين وامتزاج بين قلبين وجسدين ، وقبل أن يفهم الإنسان نفسه كيف ينشد التفاهم مع نفس حبيبه ؟ وقبل أن ينكشف له قلبه كيف يعرف

مواضع الكشف والحجاب من القلوب ؟ وقبل أن يكمل بناء جسمه كيف تكمل فيه رغائب الأجسام ؟ وقبل أن يعرف النساء كيف يعرف المرأة ؟ بل قبل أن يزاول الحياة كيف يزاول لباب العاطفة التى تنضجها الحياة ؟ .

« فليس الاحتدام هو الحب نفسه ، لأن هذا الاحتدام قد ينقص من الحب ، كما أن الحب قد يلهب الاحتدام فيمن لم يكن يعانيه » .

« . . . ف للشباب حبه ، وللرجولة حبتها ، وللكهولة بعد ذلك حب لا يشبه الحبين » .

« . . . وإذا تقضى الشباب وتقضت بعده الرجولة وتقضت بعدهما الكهولة فهل تنفد مؤنة الغزل وهل تبطل دواعيه ؟ كلا ! فهناك الحنين والتذكار وكلاهما مؤنة للغزل لا تنفد وداعية حاضرة فى كل حين . ولو سألنا الشعراء الذين عالجوا النظم فى خوارج النفوس شيوخاً وشباناً لعلمنا بمنهم أن خير ما نظموه فى شوق أو حزن أو ألم أو خالجة ثائرة أيّاً كان فحواها إنما كان كله من قبيل الحنين والتذكار . لأنهم ينظمون بعد فوات الثورة الداهمة واطمئنان اللوعة العارضة ، فيسلس لهم المعنى ويصفو الشعور من كدر الدخان والضرام » .

« . . . فلا عجب أن يجيد هاردي الغزل أو يجيده سواء من الشيوخ سواء أنظرنا إلى الحقيقة الواقعة التى لا ريب فيها أم نظرنا إلى المعهود من أطوار النفوس والقرائح . وقد يحسن أن نذكر بعد هذا أن إجادة هاردي فى الغزل لم تكن إجادة مطلقة يطمع فيها

كل شيخ ينظم القريض وتثبت له العبقريّة ، ولكنها كانت إجابة هارديّة عليها سمة الرجل وفيها طبيعة مزاجه التي لم تفارقه في شباب أو شيخوخة» .

ومضت الأيام والسنون بعد كتابة هذا المقال فلم يكن فيما قرأت ولا فيما عرفت شيء يخالف ما بدا لي من هذا الرأى منذ نظرت في حقائق العاطفة والتعبير . وأحرى أن نعلم مع الزمن أن العاطفة ألزم للحياة الإنسانية وألصق بها وأعمق فيها من أن تحصرها فترة واحدة أو تحتويها صورة أو يختمها عهد واحد . فهي - ككل شيء في الحياة - تزداد فهماً على طول المصاحبة وطول المراس والمساجلة ، وعلى حسب ازدياد الفهم يزداد التعبير ويزداد الاستكناه والتصوير . وبخاصة بين الذين يقضون حياتهم في عالم الشعور والجمل ، وهو عالم الفنون والآداب ، وهم الشعراء والموسيقيون والمصورون والممثلون .

ويصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى . أو هو العهد الذي تُفاجأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها به خبرة من قبل . فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك في حالة كحالة الشاب في أول عشقه : وجه ساهم وفم مغفور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونفس مطرود . . . وهذه هي الحالة التي يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره ، مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تعهدها البنية ولم تألفها النفس فلم تزل بها حاجة إلى التثبيت منها والرياضة عليها . ثم تأتي هذه الرياضة شيئاً فشيئاً مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور .

فى هذه الحالة - حالة المفاجأة - تتفتح النفس على عالم مسحور حافل بالصور والزخارف والأسرار ، وتجود القريحة بالمعنى البكر والخيال الطريف ، وتتسع للشاعر منادحٌ للإحساس ولوصف الإحساس يركض فيها ركض السبق والتجلية إن كان من السابقين المجلّين . ولكن سحر المفاجأة يمتنع بعد قليل أو كثير فلا يمتنع عليه سبيل القول بامتناعه ، كالذى تسحره المدينة لأول نظرة فيصفها على التو والساعة فى الصورة المتوهجة التى أضفها عليه سحرها . ثم يقيم فيها سنة وسنوات فلا يجهلها بعد معرفة ، ولا يعز عليه وصفها بعد قدرة . ولكنه يصفها غير مسحور ولا مبهور . فيخسر وصفه ذلك الوهج اللامع ثم يعوضه نفاذ النظرة وطول الخبرة وصدق المشاهدة ، كأنما تغيرت المدينة وهى لم تتغير بين النظرتين ، ولا أخطأ واصفها فى إحدى الحالتين .

وإذا كان هذا شأن المدينة المحدودة ، فكيف يكون شأن العالم النفسانى الذى ليست له حدود ؟ وكيف يستنفد هذا العالم الرحيب فى نظرة واحدة ولا سيما نظرة المفاجأة والمعرفة الأولى ؟ وكيف يفهم العاطفة الإنسانية من يحسبها ضيفاً يفارق الحياة بعد المصافحة الأولى ولا يعلم أنها هى صاحبة الدار ، وأنها هى الحياة ؟

فالأعاصير الطاغية تعصف على العالم النفسانى حيثما تشاء على اختلاف الأوقات والأجواء ، وليست أعاصير المغارب بدعاً فى عالم الأكوان ولا فى عالم الإنسان .

وقد أشار على صاحبنا هاردي فأحسن المشورة فيما اخترت لتسمية هذا الديوان . فقد نظمته بين ثوائر الأفكار وثوائر الحروب

وثوائر الصدور ، فلو بحثت له عن عنوان أدل على ما فيه لانقطع
عنان الاختيار دون المراد .

* * *

سألنى صديق يرى أننى تشاءمت من حيث يتفاءل فقال : ولم
استعجلت المغرب وقد أجله صاحبك هاردى إلى ما بعد السبعين
بل الثمانين ؟

قلت : يا صديقى اقرأ أبيات بيرون إن شئت ولا تقرأ أبيات
هاردى إن لم تشأ . . . فإنما هى حالة تلم بالرجل فيما قبل الأربعين
كما تلم به فيما وراء السبعين .

وبيرون ماذا قال فى السادسة والثلاثين ؟ ماذا قال وهو فى يقظة
الحياة ومعترك النضال ؟

نظم تلك الأبيات التى سماها بعضهم «عيد ميلاد أخير»
فقال :

«أن لهذا القلب أن يسكن ، مذ عز عليه أن يحرك سواء ، ولكنى
وقد حُرمت من يَهْوَى إلىَّ ، حسبي نصيبًا من الحب أن أهْوَى .

إن أيامى لمكتوبة على الورقة الداوية . إن زهرات الحب وثماره
ذهبت إلى غير رجعة . إنما السوس والديدان وحسرة الأسى ، هى
لى . . . لى وحدها تحيا .

وهذه النار التى تأكل الحنايا ، كأنها جزيرة بركان فى عزلة قاصية
حممها لا توقد جذوة أخرى ، وإنما هى نار تبیت على سرير الردى .
وتلك الأشواق والأوجال والهموم الغيرى . ذلك الحظ المقسوم

من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها
حصّة تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟ » .

* * *

نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ،
ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا
حياة ، ولكن هكذا كان على ما أراد - أو على غير ما أراد - فماذا
تغنى السنون القصصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم
بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ،
والزمن وحده يصدقهما أو يكذبهما فيها يقولان .

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلا أن
ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى
الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة الصباح» وسميت الجزء
الثانى «وهج الظهيرة» وسميت الثالث «أشباح الأصيل» وسميت
الرابع «أشجان الليل» . . . ثم ظهرت لى بعد ذاك الليل وأشجانه
ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهدية الكروان . وعابر سبيل ،
ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير . . . فهل
نحن راجعون ؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقف
الغروب ؟ إن كان للشعر «يوشعه» فليس نصيب هاردى من مغربه
المديد أمنية أشبتها ، وليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم نعمة
أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع
أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب .

عباس محمود العقاد

فى العالم يارب ... ويا خلق !

يارب !

يارب أعطيناك أرواحنا فى هذه الحرب وفى الماضىة
يا ربنا فاقض لنا مرةً بالسلم فى أيامنا الباقية

ياخلق !

يا خلق ما أرواحكم سمحةً عندى ، ولا إن سمحت كافية
أعطيتكم إبليس أضعافها من حَيَواتٍ عندكم غالية
وبعتم فى سوقه كل ما وهبتكم من عيشة راضية
لم تشتروا السلم بأرواحكم بل اشتريتم نقمة ثانية
عطاؤكم إبليسَ سمحٌ بلا أجر ولا أمنية خافية
وما بذلتم قط لى قربةً إلا رجاء العفو والعافية !

عباد الطغيان

كلكم . كلكم مع الغالب الظا لم لا تعدموا من الظلم رغما !
لو وقفتهم يوماً إلى جانب المفلو ب ما فاز غالبٌ قط ظلما

قريب قريب

عجبنا زمانا لهدى الحروب وما فى الحروب لَعَمْرى عجيب
أتعجب من أن قوما تمو ت ، ومن أن قوما قساة القلوب
وما قسوة الناس بدع ولا أرى موتهم بالجديد المريب
فهذى هى الحرب يا صاحبي كلا طرفيها قريب قريب

* * *

فصد !

قالوا : هى الحرب فصد به الشفاء يؤمل
قلنا : نعم . فصد عرق حى وإعفاء دمل !

* * *

الخلود المزدرى

نفوس أعاف مقامى بها أأخلد فيها؟ لبئس الخلود !
وسجن أعاف وجودى به أليس كفيلا يبغيض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبي خالد يك ، وقل من مُرك لهم أو شهيد
فلا خير فى عيشهم سرمدا إذا سُرمدوا فى ضمير القروء
فرب خلود كقيد السجين ، ونسيان قوم كفك القيود

* * *

سوء توزيع

دنياك فيها جمال ورحمة وسرور
تلقى ولا تبتغيها وتبتغي فتجور^(١)
هذا هو الشر عندى ومنه تنمو شرور

بأس الطغاة

بأس الطغاة تقول؟! مهلاً . عداك الدهول
هيهات يطغى ابن أنثى فى أمة أو يصول
ما لم يُعنه عليها جهل وحق دخیل
هما الأصيلا نفاعلم وكل طاغ وكـيل
وما لطاغ سبيل لولا هما أو دليل

الداء العالمى

أرثى له عالمًا شقيًا يقاد مستسلمًا زريًا
ومن هم القائدون ؟ .. رهط
من شرهم خسة وغيا
هذا هو الداء لا قتال
يطوى صفوف الجموع طيا

(١) جار عن الطريق : حاد عنه .

فالجهل يزرى بكل حى ولا تعيب المنون حيا

قلت للمريخ (١)

قلت للمريخ أعلنه	وهو يذكى جمرة الغضب
ويك ! ما هذا الخراب ؟ وما	ذلك الإغراق فى العطب ؟
أثم تسطو على أم	ولظى ثوارة اللهب
ودماء كالبحار على	عيلم (٢) للدمع منسكب
وقبور كظها تخمما	جثث الهلكى من السغب (٣)

قال : مه يا صاح أين ترى	كل ما استهلوت وأعجبنى
أرضكم ما زلت أبصرها	نائيا حيناً وعن كذب (٤)
هين ما قد تبدل من	سمتها فى هذه الحقب

جزاء الله

جزى الله هتلر أوفى الجزاء	بما قد أجاد وما قد أساء
فما زال يقذف من حوله	مواظاً يلقفها من يشاء
ألم نر كيف يكون الحقيير	حقيراً ويقضى بأيدى القضاء
وينهى ويأمر فى قومه	ويبرم فى أمرهم ما يشاء

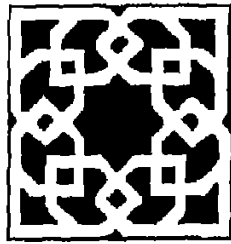
(١) المريخ فى أساطير الأقدمين هورب الحرب .

(٢) بحر .

(٤) عن قرب .

(٣) الجوع

ويغزو الممالك في عالم تُفدَّى ممالكه بالدماء
 ويفتح باريس في وثبة ويوصد لندن دون الهواء
 فوالله ما الحرب في هولها وفي كل ما خيبت من رجاء
 بضائعة عبثاً لو درى بنو آدم كيف يُزجى الثناء
 فقد يضخم العمل المزدري فيضخم ضعفين في الازدراء



فى النفس

هذا هو الحب !

غريزة تسأل : ما الحب ؟

بُنيتى ! هذا هو الحب !

الحب أن أبصر ما لا يرى أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيع الحق ما سرّنى فإن أبى ، فالكذب المفتري

الحب أن أسأل : ما بالهم لم يعشقوا المنظر والخبرا ؟
ويسأل الخالون ما باله هام بها بُهراً وما فكرا ؟

الحب أن أفرق^(١) من غملة حيناً ، وقد أصرع ليث الشرى
وأن أرانى تارة مقبلاً وخطوتى تمشى بى القهقري

الحب كالخمر فإن قيل لى سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل نعم ، ولا أحفل أن أسكرا

الحب أن يفرق أعمارنا . عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسبني الأكبر حتى إذا عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

(١) أخاف .

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى آلامنا أثرا

الحب أن أجمع فى لحظة جهنم الحمراء والكوثرا^(١)
وإننى أخطئ فى لهفتى مَنْ منهما روى وَمَنْ سَعرا

الحب أن يمضى عام وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علقت فى ساعةٍ حواشى الدفتر والأسطرا

بُنَيْتِي ! هذا هو الحبُّ
فَهِمَّتْهُ ؟ كلا . ولا عَثْبُ !
مَسْأَلَةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدرِيها ولا الكتب
حسبك منها ، لو شَفَتْ حسب ،
إشارة دق لها القلب

عمر زهرة

فريدة فى روضها أخيرة فى الموسم
عيشى وأهدى غيرها فى كل عيد ، واسلمى
أَلسْتَ أَنْتِ مثَلُها علمت أولم تعلمى
هدية الخلاق لى وقد رأى تنسمى ؟ ^(٢)

(١) الكوثر: نهر فى الجنة . (٢) تنسم ، تطف فى طلب الخبر أو الرائحة .

زهرتك البيضاء هلاً تذكرين نشرها؟ (١)
حفظتها في خدرها هل برحت مقررها؟
حفظتها . حفظتها فهل حفظت سرها؟
قصصت منها عقدة لكي أطيل عمرها

* * *

من يحفظ الزهرة أسبوعاً إلى تمامه
قد يحفظ الحب إلى السابع من أعوامه
فانتظريه في غد يسأل عن غرامه
ولا يمسه إلا لكي يزيد في أيامه

* * *

وتسألين مالنا نقص منه يا ترى؟
نعم فكل حـى ناقص ما عُمراً
كم ساعة نبتورها تزيد فيه أشهراً
فلا يزال مشتهى ولا يزال أخضرأ

* * *

كوييد يتسلل

نفض النعاس فؤاده وصبأ
ونفى السامة بعد ما بلغت
وجرى الذى ما كان يحسبه
فى توبة الخمسين يشغله
ويظل يسأله ، وإن وهبأ ...
وصحأ ، فمال ، فهام فاضطربأ
منه المشاش (٢) ، وعاود اللعبأ
يومأ يكون ، وطالما حسبأ
وجه ، ويملاً صدره رغبأ
ويبيت يسمع ، وإن كذبأ

(١) راتحتها .

(٢) رأس العظم .

ويعتد منه الزور مأثرة
رجع الهوى . عجبا له ، عجبا !
لم أوله باباً ولا كنفاً
ناديته حيناً فراوغنى
بيننا أقول صدده حذرا
لذ يا بنى بمن يلاذ به
أو لا يريد بزوره سببا ؟
لا طاغياً وافى ولا لجبا
عندى ، فكيف أطل واقتربا
فاليوم نادانى وما طلبا
طلع النهار إذا به انسربا
ولك الحمى ، وما لم تهج غضبا

هذا الصغير على غرارته
وتراه فى العشرين مستبقاً
ويغيب من كيد وعريدة
متمرساً بالدهر مختبراً
سأضمه رفقا ، وأوسعه
ويقيم لا أخشى كنانته (٣)
يدرى النفاق ويحسن الأدبا
وتراه فى الخمسين مصطحبا
فإذا أغيب شكاً أو انتحبا
خيم (١) القلوب محاذراً دربا
براً ، وأملك قلبه حدبا (٢)
... السهم أخطأ والحسام نبا

أكذاك أم هو خادعى أبداً
سيان . ما أنا حاذر لغد
حذرى أشد على من خدع
فى كل يقظة خائف هرماً
حتى إذا أمن الحمى انقلبا ؟
أغلبته بالكيد أم غلبا
تُشقى وتُسعد بالمنى ثوباً
ومع الخديعة لذة وصبا

(١) الخيم : الطبيعة .

(٢) عطفاً .

(٣) قدماء اليونان يصورون الحب طفلاً يحمل كنانة يرمى بأسهمها من يلقاه .

مسرة واحدة

تم الكتاب وألقت باليراع^(١) يدي وضُمن الطرس إحساسى وإدراكى
مالى به غير مسرور ولا كلف ألا يسرُّ يمينًا نبثها الزاكى
ضيّعتُ فيك مسراتى فما بقيت لى من مسرة شىء غير لقياك
لولا هواك لألهانى السرور به عن عالم ضاحك أو عالم باك

دنيا مقلوبة

صوت النذير^(٢) الذى أبقاك خائفة على ذراعى قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحب والحرب واويلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

الحب

ما الحب روح واحد فى جسدى معتنقين
الحب روحان معاً كلاهما فى الجسدين
ما انتهيا من فرقة أو رجعة طرفة عين

الطير المهاجر

علمتنى مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم
أترانى لا أسمع الطير إلا فى رياضى معششاً لا يريم^(٣) ؟
رب شاد فى هجرة يتغنى وعليه السلام والتسليم

(١) القلم . (٢) النذير بالغارات . (٣) يفارق .

من جنوب إلى شمال ، وحيناً من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقل^(١) وداع وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كل يوم جديداً فسواء جديده والقديم
كم مؤلّ وصفوه لا يؤلّي ومقيم وصفوه لا يقيم

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك

هنا هنا عند قلبي يكاد يلمس حبي
وفيه منك دليل على المودة حسبي

ألم أنل منك فكرة في كل شكة إبرة
وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة !

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير مطوّق بحصارك !

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه : هل مرّ منه إلى طيف غريب ؟

(١) حين يبرح ويسافر .

نسجيتِه بيدك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فإنى ما زلت فى إصبعيك

قولنى مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

حديثك الممتع لى
من ثغرك المقبل
وأنت لى فى منزلى
وشيكاً أن تخرجلى

من قبلة حَرِّى إلى لغو إلى ابتسامه
ولا تقولى عندها لا . لا . مع السلامة

حتى إلى القيامة

أما إذا مسرتنى (١)
نادتك يا حبيبتى
فاستمعنى تحيتى
ثم «اسألى عن ليلتى»

(١) ترجمة حديثة لكلمة التليفون .

ثم اضحكى وسلسلى
ضحكتك النُّغامة

فإن أطلت بعدها فهذه علامة
قولى مع السلامة قولى مع السلامة

الغيرة

إذا رابك القلب الذى لا تنوشه مخالب من وسواسه أو نواجذ^(١)
فلا تحسبى أنى خلئ من الهوى ولا أننى سأل هواك فنايد
ولكننى راض بما تظهريه وما أنا فى السر المغيَّب نافذ
فلست إلى ما فات منك تراجع ولا أنا مُعطٍ فوق ما أنا آخذ

هبة لا تنقل

تريدى قلبي؟ خذيه خذيه !... رويدك . لا . بل دعيه دعيه !
دعيه إذا غبت عنى أرى محياك فيه ، وحبى فيه
وسرُّ أبوح به خلصة وإن كنت من قبل لم تسمعيه
أخاف على البعد أن تلعبى به يا بنية أو تهمليه
فكم لعبة وقعت من يد يك وقوعاً أرى القلب لا يشتهيه
إذا ما لعبت به ها هنا فإننى لأمن أن تكسريه
تريدى قلبي ؟ خذيه خذيه ولكن بربك لا تنقليه

(١) ناشه : تناوله وأخذ به ، والنواجذ : أقصى الأضراس .

بعض الزراية

بعض الزراية نافع فى حبهن فلا تُغال^(١)
لولا الزراية لم تطق منهُنْ مشنوء^(٢) الخصال
ما حبهن من المها نة فى قرارته بخال

قبل السكر

لمع الشراب وراق منظره فرشفت منه خلاصة الراح
حتى إذا غالبت سكرته صفقت^(٣)ه ، فرددت أقداحى
شكرًا . فما أقسى المغبة لو أمسى يشاب ولست بالضاحى
قدحان أسلم لى ، وإن فتنت عيني لعة حسنه الضاحى

لغير البيع !

جواهر الحب قالوا غير زائفة مهلا ! فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شك ولا ولع بالسر عارض أحجارى على النار
خذ معلى الحب إن ألفيت معدنه إنى قنعت بومض منه غرار
ما للأناسى من حب يدوم ولا حب يقوم على صدق وإيثار

(١) أى : لا تبالغ .

(٢) المشنوء : المستقبح .

(٣) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء .

جزاء التحدى

بُنِيَّة ما صنعت ؟ جزاك ربى
لقد غيرتنى حتى لو انى
سلينى كيف كنت وكيف صرت
قدرت على الحوادث بعد لآى^(١)
بحب فى مشييك مثل حبى
أرى قلبى إذن لجهلت قلبى
وقولى ما صنعت وما صنعت
وها أنا ذا كَأْنى ما قدرت

* * *

أخاف وكان لى قلب قرير
أتوق إلى غد لتراك عيني
فها أنا ذا إذا صَفَر النذير^(٢)
وأرجم من يغار بمن يغير

* * *

وكانت لى سلالم أرتقيها
فعدت مُثْنِيًا عَجَلًا كَأْنى
فرادى لا أبالى ما يليها
أخو العشرين مرتقيًا سنيها

* * *

وكنت من السامة لا أبالى ...
فها أنا ذا أسائل ما عساها
أذمَّ الناسُ أم حمدوا فعالى
ستسمع فى من قيل وقال

* * *

وكنت هزئت حتى بالجمال
فمالى اليوم لا أرضى بحال
وحتى بالفنون وبالمعالى
وكنت الأمس أرضى كلَّ حال؟

* * *

(١) اللآى : البطء .

(٢) نذير الغارات .

أعود إلى الحياة فتلك عندي هموم المستعيد المستعد
تحديث الحياة فهل جزتني بهذا الحب عن ذاك التحدي ؟

إعفاء

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء . !
خونى ! فما أسهل التقصّي عندي وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فَقَدْكَ يا زينة النساء

الحب الضاحك

فرغت من الحب الذى يُعقب الشكوى
فحبى من النعمى ، وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حجة
فلا نار بعد اليوم . . . اليوم للحلوى ! (١)
ومحّضته ماء الشباب فما ارتوى

فهل فى خريف العمر يطمع أن يُروى
رضيت بما أعطى وأحسبه ارتضى بما أنا معطيه على غير ما يهوى
فلا زال فى عقباه ضحكا بلا بكاء ووصلا بلا هجر ، وهجراً إلى سلوى

(١) يستقيم الوزن بالوقوف التام على «اليوم» الأولى ، ثم الاستئناف على «اليوم» الثانية - وهو
مالايجيزه التشددون من العروضيين ويؤثرون عليه إدخال فاء العطف على «اليوم» الثانية .

زهرة ديسمبر

خل أيَّار^(٢) ونوَّاراً له ربما أعجب قوماً ربما
خير نوَّارى الذى أهديثه زهراً فى شهر كانون^(١) غما
عيد ميلادك من بستانه يا ربيعاً فى الشتاء ابتسما
هات يا كانون زهراً كلما سقط الزهر تعالى وسما

من تقليد «نشيد الأناشيد»

أجلُ تلك خباياها وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا لك الذى يدعى مزاياها؟!

لما فيها من العيب سننساها وننساها
وللحسن الذى فيها سنُحْيى الآن ذكراها

سأحصي لك ما يعجب منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضب بعد السعى والدس

ثناياها . ثناياها وهل ذقت ثناياها ؟
وعيناها ، ويا للقلب ! كم تسببه عيناها ؟!

(٢) أيَّار وكانون : شهران يقابلان أوائل الربيع وأوائل الشتاء .

وتلك الوجنة الخمر ية السكران رائيها
أفى الجنة يارضوا ن تفاح يحاكيها؟!

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهداها

وتلك النسمة الحلو ة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفراش ية فى النور السماوى !
دعيها تفسد الخمس ين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الإكس ير باسم الحب يحيينا

وعندى من حُميًا^(١) الش عر إكسيري وترياقى
وهل كالشعر فى الدن يا ربيع دائم باق !

مزيج

ما الحب من محض الصدا قة يابنى ، ولا العدا
الحب فيه الخصلتا ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء والاغتصا ب ، وقل على الدنيا العفاء!

(١) الحميا : سَوْرَه الخمر .

مسابقة

أغنيتها عن خدعتي زما وخذعت نفسي في محبتها
فبلغت أقصى الظن بمتحنا صبرى ، ولم ألحق بخطوتها

* * *

لا تخلفى !

لا تخلفى وعدى فأكبر لذتى فى الحب إعزازى لصاحب عهده
ويغض من إعزازيه ودلاله أنى إذا وعدت ازدريت بوعديه

* * *

أخلفى

إن كان خلفك للوعود تدللا بمكانك الغالى لدى فأخلفى
ما كنت أتبعه القطيعة أنه هو منك واعجبى يطيل تشوفى

* * *

بنت البحر

أبنيّة البحر التى ضربت لنا بسكندرية موعداً لتلاق
إنى مددت يدي لتلمس شاطئى قدماك لا لتعجلى إغراقى

* * *

اكذبنى

اكذبنى مرة أو فاكذبنى مرتين

ألف ألف من أعاجيبك فى غش ومين (١)
لن تبيد الفارق الخا لدا قرة عيني
والسموات التى بينك فى اللب وبينى

اكذبنى واكذبنى كلما شئت اكذبنى
ما غناء اللب عندي إن أبى أن تخدعيني
أنا فى ثروة وفـر منه مهما تسلبيني
أنقصيها . أى ضير؟ درهما أو درهمين !!

تقويم العام

تقويم هذا العام من لحظاته الأولى لديك
قومي ارفعيه وارفعي عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعته إلى رجعه موقوف عليك

وإذا انتهت أيامه ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه .. وترحُّبين بما تلاه
ويحيى إذا دار المدى ورعيت وحدي ملتقاه !

(١) المين : الكذب .

هى قُبلة ضَمَّتْ عُرى عامين فاتصلا اتصالا
ومُنَى الخواطر فى غد عام كسابقه مآلا
لا تَعْجَلَنَّ به فما أقسى الحياة على العجالي

* * *

لا . لا . فهذا يومنا وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عيني ومس تتمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعتِ حُداءه فدعيه يمضى حيث شاء

* * *

وعام ثان

بشراى . ما أنا شاهد يا عام وحدى ملتقاك
دارت بُروجُك والهوى يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا ومضى ، فلم أذم قفاك

* * *

هذى فتاتى هذه ! هى لاخلاف ولا اشتباه
هى فى بديع قوامها هى فى الصبا ، هى فى حلاه
هى فى غوايتها وآ ه من غوايتها وآه

* * *

ضُمى تُغْيِرُك يا بنية وابعثنى منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى عام ، ولكن بالقُبل
إن ساعفتنى ليلة فدعى العهود إلى أجل

* * *

عام تفتح بالرجاء ء وبالرجاء ختمته
ودعت ذاك العام فى قبرى كما استقبلته
قولى ، وقد ولّى ، أفى شرع الوفاء قضيته ؟

لا تخدعيني يا بنية بالوفاء من اللسان
خُنًا وخُنْتُ ولا أقو ل سلى فلانة أو فلان
ذهبت خيانتنا معًا والآن نحن الباقيان

ذهبت خيانتنا كما ذهب الوفاء ومن يفون
لا ذمّة تبقى ولا يبقى الوفى ولا الخؤون
كم ذمة ضيعتها يا عام فى تلك الغضون !

انظر ألسنت ترى فتا تى حيث كنت ضممتهما
فى جلسة الأمس التى حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت صدرى ولا فارقتها

وإذا سألتَ وربما جاء السؤال بلا كلام :
«ماذا تقول مودعى والليل يومى بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستم ع الجواب ولا ملام

ما كنت عندى أيّ هذا العام كُلّك بالسعيد
لكن سويّعات مضت لى فيك تُنسى ألفَ عيد
غفرت ذنوبك كلها وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أعطت ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها وقليلها أبدًا كثير
إن عاد يوم غد كأمّس قدّر زمانُ كما تدور

* * *

وعام ثالث !

... والثالث الموصول أقـ بل مرحبًا بالثالث
رَحَّبْتُ منه بمقبل إقبال لاه عابث
ما كان يكرثنا ^(١) شقا قالم يعد بالكارث

* * *

رضنا الغرام رياضة الـ فرس العصى فأذعنا
لا جامحًا قلقًا ولا تعبًا يثن من الونى ^(٢)
أنعم بذلك مركبًا بين العواثر لينا

* * *

(٢) الفتور .

(١) يهمننا ويشغل بالنّا .

ما للغرام يسومنا بنعيمه وشقائه
إننا لمغتنموا جهنم مه اغتنام سمائه
لسنا على يده يجو دلنا بمحض سخائه

ما شب من نار طبخ لنا فوقها حلوى الهوى
أو صب من غيث غمس لنا فيه آلام الجوى
أو زف من ريح وهبنا ها الشراع كما استوى

أهلاً بعام ثالث يتلوه عام رابع
بل خامس فيما عهد ت وسادس أو سابع
ما ضاقت الدنيا وفي جنبك قلب واسع

قلباً تفتح بعد ما استعصى بباب واحد
أو قل تشقق بالجر اح فلم يضق بالوارد
ما حيلة الأعوام فى غير الزمان الفاسد

يا قلب إنك قد أرد ت فأين ويحك ما تريد؟
عام سعيد! إى ور بك... قل إذن عام سعيد
هبك اعتزلت سروره أتراه ينقص أو يزيد؟

بعد سنة

سنة مسرت ولا كل السنين

بين صيف من هوانا وشتاء

وربيع كلما غمام أضواء

والضحى والليل حيناً بعد حين

سنة كان لها نجم فريد

غمر الشمس وغطى القمر

ومشى فى حسنه منتصرا

كلّ برج تحته برج سعيد

إن يكن لى فى سنه رقباء

فوالذى أرصده لم يرصدوه

والذى أنشده لم ينشدوه

والذى هاموا به عندى هباء

سنة مسرت على روض الغرام

أنبتت فيه فنون الشجر

من رياحين وغرس مثمر

وسل الأرواح ما أزكى الطعام !

يومها الأول وافى ودنا
فانس أيامك فى ساعاته
واجمع الصافى من لذاته
جرعة ، واطرب عليها زمنا

جرعة نجم فيها سكر عام
إن شربناها فقد تشربنا
أو سكبناها فقد تسكبنا
فى الهوى روحين فى كأس واثام

هات لى الذكرى وقرب لى العيان
فهما يا صاحبي بين يديّ
حضر الساعة يا صاح لى
ربة الذكرى وذكرها قران

هات لى الذكرى أراها وترانى
غضة ملموسة فى راحتى
حلوة معسولة فى شفتى
جنة تنبت فى كل أوان

جنتى لا حَيَّةٌ تخرجنى
أبدًا منها ولا أحيًاؤها
لا ولا إبليس أو حـــــواؤها
أنا فيها خالد كالزمن

أنا منها وهى منى فى الضمير
فإذا فارقتها بالنظر
لم يفارقها ضميرى عُمرى
وله العصمة من مس السعير

سنة كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنة ثانية بل سنوات
ولنا منك مزيد المستزيد

أنت يا نجم معيد ما تشاء
لا السماوات ولا داراتها
غُنيَّةٌ عنك ولا أوقاتها
أنت ميقات وشمس وسماء

أنت تدنيها سماء زلفا (١)

تنسج الوقت لنا منفردين
لا مشاعاً كنسج النيرين

بل لنا طوع يديننا وكفى

المرأة والخداع

نخل الملام فليس يثنىها ،	... حب الخداع طبيعة فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ،	ورياضة للنفس تحييها
وسلاحها فيما تكيد به	من يصطفئها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها	من طول ذل بات يشقيها
أنت المعلوم إذا أردت لها	ما لم يُرده قضاء باريها
حنها ! ولا تخلص لها أبداً	تخلص إلى أغلى غواليها

رواية

ما غرنى إقناعها	كلا ولا إمتاعها
ماذا تخبي طفلة	رقت ورق قناعها
بل غرنى علم الطبا	ع ، وللنفوس طباعها

(١) الزلف : التقدم والتقرب .

أوليس علمًا بالحيا	ة يهون فيه صراعها
إنى أشاهد كيف يف	طم فى القلوب رضاعها
أو كيف يسرى فى النفو	س الواعيات خداعها
أو كيف ينهض بعد طو	ل سباته دقاعها (١)
أو كيف يومض بعدما	خفت السراج شعاعها
دعنى فتلك رواية	شامت وشاق سماعها
ألمى الوجيز رقاعها	إن قيل أين رقاعها ؟
وأنا العليم ، وقد علم	ت ، متى يكون وداعها

* * *

لغيرك !

لغيرك غفران تلك الخطايا	وغض الجفون وستر الخفايا
لغيرك ، لا لك ، صبرى على	مساوى يُحسبنَ عندى مزايا
لمن أرسَلْتُكَ ، ومن جمَلت	لك ، ومن حبَّها كامنٌ فى حشايا
ألست رسولَ الحياة الأُم	ين بأسنَى الهبات وأغلى الهدايا
فهاتى الرسالة واستغنمى	ثنائى ، ولا تعجبى من هوايا
إذا الرسل أفضت بما عندها	فما حيلتى فى اختلاف الوصايا
سواء لدينا بريد الوجو	ه ، إذا حسنت ، أو بريد الطوايا

* * *

(١) الدِّفاع : قوة الموج وكل مدفوع .

ماذا استفدتُ ؟

برئت من غش نفسي ولا أقول انتبهتُ
قد كنت ساهر عین مستيقظاً ما غفوتُ

برئت من غش نفسي وليتني ما برئت
ما العمر محض نهار ! في العمر للغمض وقت

ها أنت يا عين يقظي وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمرى وما عساني استفدت ؟!

ترصبي

إذا احتواك قفصي

سرى الفتور في جنا حيك وإن لم تنقصي
وغرّد الطير وضاً عت في الغناء فرصي

وخفت في سجنك ألا ترقصي

وإن ملكت الأفقا
حيّرني رحب الفضاء مهبطاً ومُرتقى
وأوشك الصدر لفرط الضيق ألا يخفقا
وطار في إثرك لبي قلعا

تربصى . تربصى !
ما حيلتى؟ ما مهَرَ بى؟ ما مخلصى؟
الموت قناص الأبـا بيل وحلال العصى
يقنصنى ويحك إن لم تنقصى

فهمان

لما نفست بما أغـا لى فى هواك وأظنـب
لم تفهمى منى سوى أن النفائس تُطلـب
وفهمت من نزغات طبـ عك ، والطبائع تغلب
أن النفائس كلما عزت ، تراد ، فتوهب !
فرخصت من فرط الغلو وخبت فيما أحسب
وخسرت فيك خسارتين ، وخلت أنى أكسب

كيف ؟

تحفة من بدائع الله تحمى كنزها كف طفلة لا تقرر
كيف لى بادخاره فى يديها ؟ كيف لى باحتقاره وهو ذخر

مصيبتان

قالوا اسألها ودع البكاء فإنها فى حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتى فيها اثنتان لأننى أبكى لمن لا يستحق بكائى
من كان يبكى الأوفياء فى الأسى لمن استحق أساء بعض عزاء

ندم !

عشقتك مكذباً خلقى ورأى وعفتك صادقاً لهما أamina
وما أخطأت فى لؤميك يوماً وقد أخطأت فى عُذريك حيناً

حلم الأبد

أأهواك جسماً علا وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحد ؟
بُنية كوني كما قد خلقت فأنت كما شاءك الله أنت
وما شئت أنا حلم الأبد

عيوبك

عيوبك لم أحفل بها قبل فتنتى وهيئات يثنى العيبُ نظرةً مفتون
فيا بؤس للعشاق لا علمهم حمى ولا جهلهم إذ يجهلون بمأمون

مساومة

ما حيلتى إن جهلتُ حسنها فسلمت بالبخس للمشتري
لو كنت فى جهلها بعتها ببعض ما هان على المزدري
لانى على إغلائها فى الهوى أربحُ فى الصفقة من منكرى (١)
ليس الذى يقدر ما ناله كمن إذا أُعطى لم يقدر (٢)

الذات والويلات

غداً تنسين لذاتٍ بلا عَـدٍّ ولذات
ولا تنسين ويلاتى ولا زجرى وإعناتى
فما فى تيك من حبك بعض الحب فى هاتى
وهيئات الهوى الطاغى من العايت هيهات

(١) أربح : أى أكثر ربحاً .

(٢) قَدَّرَ الشَّيْءَ يَقْدُرُهُ ، أى عرف له قيمته .

عجائب القلب

تلك التي كنت أغليها وأذكرها صبحاً ومُسَيّاً وفي سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسي من تذكُّرها فاليوم أرحمها من فرط نسياني
عجائب القلب ، ويلي من عجائبه! عزت نظائرها في العالم الفاني

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا !

عجباً كيف صبحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا
فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا (١)

* * *

بعد عصر !

أى عصر ؟

والنوى تجرى وسر الحب في الأكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر
قضى الأمر كما شاء ، وعدنا فالتقينا

* * *

(١): كان صاحب الديوان قد سافر إلى السودان على أثر هجوم الألمان والطيّان على حدود مصر الغربية في شهر يونية سنة ١٩٤٢ ثم عاد بعد أسابيع لعلاج يديه من حرارة أصابتهما ، فاتفق وصوله قبل يوم الذكرى المشار إليه في القصيدة .

كم بكيت
واشتكيت
ثم ألهمت على الغيب فأصغينا وقلت
قلت في السابع والعاشر من شهر سيأتي
ها هنا سوف تراني ، فرأينا والتقينا

يوم ذكرى
ذاك أخرى
بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تُعبر الشعري وتدني كل شعري
كيف يلقانا وحيدين غد فيه التقينا

قبل عام
ثم عام
كان يوم ، أيّ يوم ، في صفاء وابتسام
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد اللوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

وتداني
وكلانا
زائغ الطرف يناجى الأفق قلباً ولساناً
ثم ماذا ؟ ثم كن يا بُعد لي قرباً ، فكانا
واستعان الحب بالداء حليفاً فالتقينا

كم غرام
وسقام
عرفا الحلف على غير سلام ووثام
فإذا ما اجتمعا فانتزعاني من مقامي
فبحسبي منهما أنا شكونا فالتقينا

* * *

يا فتاتي
يا حياتي
لا تراعي بعد هذا من فراق أو فوات
قدّر الله كفيل لك في ماض وأت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

* * *

نذر مقبول

أرأيت حين نذرت ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذي لباك ؟ من ذا أجاب منك ؟
قديسة عطفت على المكنون من نجواك
ووعدها فوفيت

* * *

قديسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يلوم هواك من ذا إذن يلحاك
والعذر عذر صبايتي والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت

بالشمع كم أغريتها أترك أنت خدعتها ؟
كلا وما أقواك فى خدعة وشباك
فالنور لب غذائها والنور صفو رضاك
شغفت به وشغفت

* * *

من الأستاذ عماد (١)

يا حزين النفس أعطيت منها فاغنم الفرصة حتى منتهاها
لا تنغصها اختباراً واكتناها إن من خاف من الجن يراها

* * *

النوى آتية لا شك يوماً وهى من حولكما لم تأل حوما
همها ألا يدوم الصفو دوماً فعلى رسلك لا تُعجل خطاها

* * *

لا تقل يا وردتى شوكتك أينما ما علينا منه فيها ، ما علينا ؟
إنها أخفته عنا فانتبهينا حسبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

ليس شك أن للوردة شوكا وإذا أدنيت كفاً منه شكاً
فأحبك القفاز فى كفيك حبكا واخلس الوردة واستغرق شذاها

* * *

(١) هو صديقنا الشاعر المجيد : الأستاذ محمود عماد .

أنت فى الجنة أُلقيت يقينا فدع الشك أو استمهله حيناً
إنه الشيطان قد أخفى القروناً إنه الحية فاحذر من أذاها

* * *

لا تسلمها يوم تأتى أين كنت ؟ فبحسب العين أن الحسن يأتى
ذاك وقت فيه يفنى كل وقت ساعة دقت ، وغابت عقرباها

* * *

ساعة دقت فأدت ما عليها فعرفت الوقت لم تنظر إليها
ما الذى تطلبه من عقربها إن تغيبا خلف ستر قد حماها؟

* * *

قلّت أنساها بأخرى حين تُغرى أترى أخراك لا تطلب أخرى ؟
من يقول الجمر قد يطفئ جمرًا اللظى من غيرها مثل لظاها !

* * *

إنها منك دنت فلتدن منها وإذا خانتك من بعد فخنها
أو فجرّب هل تطيق الصبر عنها ؟

لا . وشمس الحسن فيها ، وضحاها !^(١)

* * *

غصّت فى اللجة حتى أذنيكا وحزام العوم لم يلق إليكا
رحمة الحسن إذن تثرى عليك رحمة إن شاءها الحسن قضاها

(١) الواو هنا للقسم لا للمطف .

وإذا شاء فلا رحمة تقضى ودعا بعضك نحو القاع بعضا
تبتغى من تحت هذى الأرض أرضاً
لا . فدنيا الحب لا دنيا سواها
محمود عماد

إلى الأستاذ عماد

يا صديق النفس من عهد صباها
نصحك الصادق لو تُشفى ، شفاها (١)
محنةً تبلغ فى يوم مداها ما ترانى صانعاً ، أو ما تراها ؟

ناصرحى أنت بزهرى أنتشيه لا أبالى الشوك والغصة فيه
كل شوك يا صديقى أتقيه يخرق الدرع وإن دقت عراها

وردتى يا صاحبي فى الورد بدع! بدعها طبع ، وكل الورد طبع
طبعها كالفتح ينهاك ويدعو وبلاء النفس فى مس جناها

إن تقل فز بالجنى قلت رويدا الجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا؟
الجنى القيد ، فهل نحمد قيدا الجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها!

(١) أى أن نصحك قمين أن يشفى النفس لو أنها تقبل الشفاء .

وردتني آفتها فرط التحدى جاوزت في كل شيء كل حد
حسنها هيهات منه حسن ورد شوكتها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نافعى والقلب دام وسعار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العين بوشى ونظام وامتلأ الأنف من عطر شذاها

* * *

أه من برئى وأه من سقامى أه من صلحى ، وأه من خصامى
أه من شمسى ، وأه من ظلامى أه من لذعة أه فى جواها

* * *

لذعة النيران ينفثن دخاناً ليضىء اللهب الخافى عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتدانى من قرار النفس يرتاد ذراها

* * *

أه من آه لحاها الله جداً لا تزل خالدة فى النار خلدا
من قلوب تتلظى حباً وحقدًا حرقت آهاتها آها فآها

* * *

أنا لا أطلقها حتى تذوبا فى لظاها ، كلما شبت شبوبا
وأرانى يا صديقى لن أتوبا فإذا تابت عرفنا منتهاها

* * *

طلاء نفس

زرقة عينيك لا صفاءً فيها ، ولكنه فضاء !
حمرة خديك لا حياء ، فيها ، ولكنه اشتهااء !
قوامك الرمح لا اعتدال فيه ، ولكنه اعتداء !
يا حيرة القلب فى هواه ! يا غاية العمر فى مناه
وجهك سبحان من جللاه ولوَّث النفس بالطلاء !

* * *

حبك لا نعمة أراها فيه ، ولكنه جزاء
من فى الصببا جرت فى هواها !
من تلك مقبولة الدعاء ؟
أنت عقابى فهل كفاها برح شقائى أولاً اكتفاء ؟
ياجنة حسنهاب عقاب ياخمرة عذبهاب عذاب
متى متى ينطوى الكتاب ؟
متى فراق بلال لقاء !

* * *

بنيته

بنيته ، والعزم صخرى المتين ومعولى حدُّ العذاب السنين
اسمع . ألا تسمع هذا الرنين هذا فتات القلب . هذا أنين
فى كل ركن قطعة من وتين^(١)

(١) عرق فى القلب .

بنيته فى حفرة من شقاء والدم والدمع عليه طلاء
هناك ، فى زاويةٍ ، فى الخفاء تم بحمد الله ، تم البناء !
ماذا بقى ؟ لم يبق إلا الدفين !

* * *

بنيته . يا حسنه ! يا سناه ! بنيته : قبر الهوى فى صباه
قبر الهوى الغالى وواحسرتاه ! قبر الهوى الذاهب فى منتهاه
هل بعد «خمسين» هوى يا حزين ؟

* * *

هاتوا الدفين الغض . هاتوا الأمل هاتوه أدمى جسمه بالقبل
أدميه ؟ لا . لا دم بعد الأجل جفَّ وما جفت عليه المقل
هاتوه أحييه بذكرى السنين

* * *

دفنته ، وَيَحْك ! هل تستريح ؟ يا خارب القلب عمرت الضريح !
ذاك الثرى المنهال . ذاك الصفيح يا ليته ركن الخراب الفسيح
أوليتك الساعة فيه الدفين

* * *

أه من الحيرة أه وأه أنافع قلبي ، رُجعى هواه ؟
ولو خلا القبر ، أهذا مناه ؟ ... لو أقفر الساعة بما حواه
خلت من الحيرة أنى الغبين

* * *

هنت والله

هُونْتُ خَطْبَكَ جَدًّا وَخَلْتُه لَنْ يَهُونَا
حَمْدًا لَكِيدِكَ حَمْدًا ... حَمْدًا يُفِيضُ الْعَيُونَا
يَدَلَّتْ بِالنَّارِ بَرْدًا وَبِالْهَيْبِ سَكُونَا

إِنِّي أَمَنْتُ الْفِتْنُونَا

وَأَنْتَ مَـاذَا أَمَنْتَ ؟

قَدْ هَنْتَ وَاللَّهِ هَنْتَ !

كَمْ دَارَ فِي الْكَوْنِ رَأْسِي حَيْرَانٌ يَطْوِي بِقَاعَهُ
شَكِي يَسْأَلُ حَذْسِي أَيْنَ اخْتَفَتَ مِنْذُ سَاعَةٍ ؟
سَفِينَتِي الْيَوْمَ تُرْسِي وَالرَّكْبُ يَطْوِي شُرَاعَهُ

غَيْبِي بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ

مَا أَنْتَ وَيَحْكُ أَنْتَ (١)

قَدْ هَنْتَ وَاللَّهِ هَنْتَ

لَوْ قِيلَ «بَنْتُ الْهَوَاءَ» صَدَّقَتْهُمْ فِي الْمَقَالِ
وَرَثْتِهِ فِي السَّخَاءِ وَفِي شَيْعِ الْنَوَالِ
لَوْ كَانَ فَيْكَ بِقَائِي لَمْ تَخْطُرِي لِي بِبِئَالِ

مَنْ بِالْهَوَاءِ يَبَالِي

كُونِي إِذْنِ حَيْثُ كُنْتُ

قَدْ هَنْتَ وَاللَّهِ هَنْتَ

(١) « ما » هنا للنفي .

خذى عشيقين مثلى لا بل خذى الناس طُرا
يلقـاك هذا بليلٍ وذاك يلـقـاك ظُهـرا
إن تخـدعنى ربُّ نـبلٍ يـخدعك نـذلانُ مَكـرا

وتشربى الجـام مُـرا
حتى يُقالَ جُنـنتِ
قد هنت واللّه هنت

يا فرحة القلب لما رخصت بعد غلاء
خسرى بذلك تما وتم منك نجـائى
ولو حسبتك غنما لطلّ فيك شـقائى

وغصّ قلبى بدائى
لكن رحمت فـخنت
وهنت واللّه هنت

فراغ . فراغ

فراغ بارد شات بلا ماض ولا آت^(١)
أمـوات ؟ نعم لكن نحس فناء أمـوات
ويا بؤس الفناء نحسه فى كل ميقات

(١) شات : اسم فاعل من شتا يشتو ، أى دخل فى الشتاء .

فى مصر غيث الصحراء

ألقىت هذه القصيدة بين يدى صاحب الجلالة الملك «فاروق الأول» فى رحلته إلى الصحراء الغربية (١٩٣٨) وكان صاحب الديوان يمثل دائرة الصحراء بمجلس النواب .

* * *

يا حادى البشرى دنا السفر ناد القبائل حيثما انتشروا
فاروق فى البیداء يصحبها ... تيهوا بنى البیداء وافتخروا
رَفَع الخيام على السحاب فلا أُسُسُ تطاولها ولا جدر

* * *

فى طالع الأيام مـرتقب ولسابغ الإنعام مدّخر
كالغيث لولا سبق أنعمه والغيث يلحق بعده الثمر
كالنيل لولا أن موسمه فى كل يوم حاضر نضر
صَلَحَ الزمان لكم بمقدمه وازدانت الأصال (١) والبكر
فاستبشروا بالخصب أجمعه لا جذب حيث النيل والمطر

* * *

أحببتموه على السماع كما شاء الولاء ، وشاعت السير
وتشوّف الوادى لرؤيته وتساءل الركبان ، وانتظروا
وتجاوبت فيكم مدائحه نظماً رواه البدو والحضر
والعرب أصدق ما سمعت إذا غنوا على البیداء أو شعروا
فالآن فاكتحلوا بطلعته وتيمنوا باليمن وابتدروا

(١) جمع أصيل ، وهو قبيل وقت الغروب .

ملكٌ تعالى الله بآرثه سيان فيه السمع والبصر
لم يختلف قول ولا عمل منه ، ولا خُبْرٌ ولا خَبَر

ملك تعالى الله بآرثه بالخير يأمرنا ويأتمر
مستعصمٌ بالله معتزم مستمسك بالحق مقتدر
سبق الشبابُ به مراحلنا وأعانه الإلهام والنظر
وتفِيَّاتٌ بلوائه عُصب وتألَّفت بفنائه زمر^(١)
نعم الإمامة للشباب فلا يأس ولا نكس ولا حذر
جيلٌ لزين الجليل أسلمه رب الكنانة ، فهو منتصر
العزم والشورى إذا اجتمعا فهما قضاء الله والقدر

يا مؤمناً بالله مهتدياً بك مسجد «العوام» مشتهر
يا نسج وحده في مآثره بيديك زين القطن والوبر^(٢)
يا جاعل الملح الأجاج روى^(٣) بيديك طاب الملح والصبر
يا شافى المرضى وكافلهم عيسى على كفيك مستتر
يا حصن مصر ويا دعامتها أقوى الدفاع مِراسُك العسر
يا شاهد التاريخ في أثر العين أنت ، وما مضى أثر
ما كان منسياً فشهرته بك بعد هذا اليوم ينتشر

(١) أى استظلت برأيه جماعات .

(٢) أى أنك زنت القطن والوبر ، كناية عن الوادى والصحراء .

(٣) الروى هو الماء الغزير المروى . ومن المنشآت التى افتتحها صاحب الجلالة فى مرسى مطروح منشأة تصفى ماء البحر من الملح فيصلح للشرب ، والبيت يشير إلى هذه المنشأة ، كما تشير الأبيات الأخرى إلى المعامل والمساجد ومعامل النسيج التى افتتحها جلالتة فى هذه الرحلة ، والآثار التى زارها .

وعلی فم الصحراء منتظر	إنی إلى الصحراء ملتفت
هزجًا يشیع بها ، وينحصر	أصغی فأسمع فی جوانبها
نفر ، وينصت حولها نفر	آلاء فـاروقٍ یردها
ینمو ، وحيث نما بها الشجر	تنمو وتزهر حيث لا شجر
سارون فوق جمالهم سهرؤا	یہفؤ النزیل لها وينشدها
وملوکهم لسمائهم صور	قوم سماء الله فوقهم
فهم الرعاة ، وهكذا فطروا	إن یذكروا بالحمد راعیهم
وعلى هدی لآلائها ظهروا	هم فی صراحة أرضهم نشأوا
غير الرمال ، وعاش ما سطورا	بلغاء ما عرفوا السطور على
ومتى أصابوا نعمة شکروا	حرماتهم الأيام فاصطبروا
والیه موثلهم إذا حضروا	فاروق قبـلـتـهم إذا رحلوا
شرفت أنفسهم بما ادثروا	یا ملبسًا أجسادهم حللا

* * *

والبحر والبيداء والذکر	الملک والآفاق والقمر
وتموج فی أنحائه الفكر	أمد تفوت العين غايته
ويعد فی أيامها قصر	هی رحلة طالت مفاخرها
لشعابها الأحقاب والعصر	لو فرقت فی الدهر لاتسعت
ذخر الحياة ، ويحجم الخطر	فی ساحة الفاروق يملأها
ويطیب منها الورد والصدر ^(١)	تنقاد طائرة وسابحة

* * *

(١) بعض هذه الرحلة تم بالطيارة ، وبعضها بالسكة الحديد والباخرة .

تمثال سعد

نظمت تحية لتمثالى زعيم مصر الكبير سعد زغلول عند رفع الستار عنهما بالقاهرة والإسكندرية (٥ أغسطس سنة ١٩٣٨) .

* * *

الروح فى وادى الكنانة حائم	وجلال شخصك فى النواظر قائم
ما غاب منك سوى مثال عارض	يمضى ، ويخلفه المثل الدائم
مَلِكُ البلاد المستقل وشعبها	فى محفليك مساهم ومساهم
أَمَلٌ لعمرك لم تطاوله المنى	شرفاً ، وحلم ما رآه الحالم
تزهى به مصر ويزهى الشرق من	كثب ، ويعجب من صداه العالم

* * *

فاروق مولده ومولد نهضة	تنمى إليك ، كلاهما متلازم
فإذا أظلك عرشه وجلاله	فالعدل قسمته ، ونعم القاسم
شيمٌ من الخطاب جمّع شملها	العادل الفطن الكريم الحازم
من غير فاروق يصورُ أمةً	أنت الزعيم لها ، وأنت الخادم
من غير فاروق يبارك نهضة	منه الرجاء لها ومنه العاصم
من غير فاروق يقلد رتبةً	والصولجان بكفه والخاتم
من غير فاروق يجل رعية	حوليه سابقٌ مجدها والقادم
من غير فاروق تنصّ يمينه (١)	علمًا للاستقلال فيه علائم
حياك أو أحيا رجاءك عاهل	عهدُ البلاد به جديد باسم
ملك كما ترجو لمصر مصدّق	بشرأك ، مرتسم لما هو راسم
غمر البلاد بحبه وولائه	فولائه فرضٌ عليها لازم

(١) تنص : أى ترفع .

ركنان للوطنية المثلى هما عرشٌ ، وشعب حوله يتزاحم
فاهناً بما بُلّغت من حبيهما واغنم ولاءهما فأنت الغائم

* * *

تمثالٌ سعد فى الجزيرة ساهراً هيهات يغفل منك لحظ صارم
النيل حولك لا يغيب هنيهة عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شأن لربك فى الحياة حكيته فالظل للغضن الوريث موائم
كم صام سعد عن مناهل حوضه ويعبّ مغتصب وينهل غاشم
كم بات يرعاه ، وليس بُمرّج من خيره ما يرتعيه الحاكم
كم غاب عنه ولم يغب عن همه والبحر دون طريقه متلاطم
بك زادت الأهرام ركنًا والتقت منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها فى الجزيرة الفيحاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا يَغيا بنقض بنائهن الهادم
اليوم أن لجانيى تاريخها ألا يظلهما دخيل داهم
فى الضفة الأخرى بقية عسكر قاومتهم جهد المطيق وقاوموا
مصرٌ تضيق ، على اتساع رحابها بكما فأيكما المقيم القائم ؟
لم تستقر على دعائمك آخرًا إلا لأنك بانتظارك جازم
والنصرُ ردُّك للعدوِّ مواليا لا أنت راغمه ولا هو راغم
سعد على النيل الوفى ومثله سعد على البحر القوى متاخم
ما أعجب الصنوين للفرد الذى أغيا بصنويه المدى المتقادم
أمجاور الميناء إنك لم تزل ميناء مصر ، والخطوب خضارم
متمكنًا من حيث يُقبلُ قادم كَرمت وفادته ، ويمنع قاحم
نعم اختيار الموقفين لحارس وطنًا يحارب دونه ويسالم

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولة
يمناك تومئ بالكلام فأين من
عجبي لشيء فيه منك ملامح
عجبي لشيء فيه منك ملامح
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة
وتشابعت ثم الأسارير التي
وتحجبت تلك الأفانين التي
إن لم تصورها اليدان فرنما
إن لا تحدثنا فكل محدث
أو لا يكن لفظ فدون الوحي من
الناس حولك سامع أو ذاكر
قف فوق منبرك الجديد فلم يزل
يصغى إليه العابرون فيقتدى
هذا المثال الحى إما حامد
هذا المثال مؤيد من ثابروا
خصم لكل مخالف آراءه
جدد لهاتيك الرءوس حياتها ،
ما كان تمثالا يماط ستاره
بل تلك جامعة يؤم دروسها
تلك الرياح مجاذبات غطائه
فاروق أو مزجى الرياح كلاهما
والغيب يلهمه المليك إذا اتقى

يُروى بها هذا الزحام الهائم ؟
إيمائها الصوت القوى الناعم ؟
أن ليس يُسمع منه قول حاسم !
أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
والصخر بأسا يتقيه الصادم
قد شابهتك بمثلهن ضياغم
ضاق الصنّاع بها وعى الراسم
خفيت فصورها الضمير الراقم
من فيض روحك ناثر أو ناظم
معناك - كلّ اللافتين أعاجم
ما كنت توشك أن تقول ، وفاهم
لك منبر على الذرى وقوائم
داع إلى الحسنى ويخجل أثم
للعاملين غداً ، وإما لائم
مُزّر بمن قصّروا الخطى وتناوموا
وفعاله وهو القوى الخاصم^(١)
بعض الرءوس وإن حين جماجم
بل منسكا للحج فيه محارم
متعلم سنن الحياة وعالم
رسل من العرش العلى حوائم^(٢)
للغيب ، من خلف الحجاب ، تراجم
ويُفضّ من فحواه ما هو كاتم

(١) الخاصم: الذى يتغلب على خصمه فى الخصومات .

(٢) قبل رفع الستار بأيام جذبتة الريح فانكشف ، فتفاءل بذلك الذين أشفقوا من تأخير الاحتفال برفع الستار .

يا أسبق الأعلام ربك سابق في حيثما استبقت بمصر عظام
ما قام للفلاح قبل مثاله علم ، ولا دُعيتُ إليه معالم
صعدوا على أكتافه وتسنموا أوج المنابر وهو جاث جاثم
فاليوم يبتدئ الزمان بخلقه حتى كأنك أنت فيهم آدم
شرقاً أبا الفلاح ما استفتحت من همم ، وما استتلى بعزمك عازم

لك لا تزال ولن تزال رسالة ما للعظام إن بدأ أن خواتم

ثناء على ماهر

ثناء الكرام على ماهر (١) ثناء على الرجل القادر
على رجل زاهد في الثنا ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله فَيُقْبِلُ في جحفل زاخر
وَمَنْ كُلُّ أَيَّامِهِ صَالِحًا ت لحفل بتكرمه عامر
فلا حيرة فيه للمُحتَفَى ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائح الصادقا ت عَفَوَ البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ونظم المقرظ والشاكر

بياناته مثل أرقامه حقائق للحاسب الحاضر
وأراؤه في ثنايا غدد كرؤية عينيه للحاضر

(١) من قصيدة في تكريم الدكتور أحمد ماهر باشا (يوليو ١٩٣٩) .

وباطنه فى مواعيده	كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه	تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمّن للعدى	وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو	ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب	فليس يوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكم يومكم	وطوبى لكم ذكرّة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا	بها نهج مبتكر باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا	مدى الحمد من وطن قادر
لكم من بنيه ومن عرشه	معاونة العارف العاذر

* * *

عيد الجهاد

«١٣ نوفمبر ١٩٤٠»

حُيِّيتَ يا عيد الجهاد	حييت يا يوم المعاد
يا يومَ مصّر ومالها	من ناصرين ، ولا عتاد
عزلاء إلا من سلا	حيها : الرجاء والاتحاد
بهما تصد الظافر	ين ولا تُصد ولا تُصاد
وتقود أشتات الصعا	ب ولا يلين لها قياد
وتعانّد الأسد الهصو	ر ولا يطاق له عناد
تلقياه يوم تزلزلت	من بأسه السبع الشداد
والأرض بين يديه طيّ	عنة الأعنة والوهاد

حُيِّيتَ يَا يَوْمَ الْجُهَا
كَلًّا . وَلَا مِنْ قَائِل
د وَلَا سُؤَالَ بِمَ الْجُهَا
أَيْنَ الْجَحَافِلَ وَالْجِيَادَ ؟
وَكَفَى بِمَا جُمِعَتْ بِلَادَ
وَطْنٌ يَحْقُقُ مَا أَرَادَ
إِلَّا إِذَا غَلَبَ الْفُؤَادَ (١)

حَيِّيتَ يَا يَوْمَ الْجُهَا
يَوْمَ الْكِرَامَةِ وَالْجِلَالِ
يَوْمَ الْجُهَا وَالْجُهَا
د بَل ، السَّلَامَةُ وَالسَّدَادُ
م وَجَاهِلٌ فِي الْارْتِدَادِ
ع ، مُضِيعٌ فِي مَا اسْتَفَادَ (٢)

وطني سلمت من الغُوَا
ما في الجُهَا غَوَايَا
وطني خَذَلْتُ الْخَادَعِ
ما في الصَّعَابِ خَدِيعَا
وطني تَبَيَّنْتَ الْمَصَا
ما في اللَّهْيَبِ خَبِيبَا
وطني فَرَرْتَ مِنَ الْهَوَا
ما كلَّ خُطْبٍ يُثَقِّي
وطني . وما وطني على
يا لَيْتَهُ مَا يَهُو
ة وَلَا سَلِمْتَ مِنَ الرُّشَادِ
إِنَّ الْغَوَايَا فِي الرُّقَادِ
يَنْ وَلَا خَذَلْتَ ذَوِي اعْتِقَادِ
إِنَّ الْخَدِيعَةَ فِي الْمُهَادِ
رَحْ وَالْمُدَاجِي فِي الْوُدَادِ
إِنَّ الْخَبِيبَةَ فِي الرَّمَادِ
ن وَلَا فَرَرْتَ مِنَ الْجِلَادِ
أَوْ كُلَّ أَمْنٍ يَسْتَزَادِ
بِهَيِّينَ بَيْنَ الْبِلَادِ
ن فَاسْتَرِيحَ «عَلَى الْحِيَادِ» !

(١) ما هنا تعمل عمل «ليس» وتؤدى معناها .

(٢) أى : كثيراً ما يكون الاقتحام من العقل ، والارتداد من الجهل ، والكسب في الإنفاق والخسارة في الاكتناز وعدم النفقة .

* * *

حاشا لمصر ولى وللسا دات فيها والسواد
إنى نذرت لها دمي ومنى يضمن بها الجواد
وشرعت فى ميدانها قلمي وإن تفد المداد
وعلمت أن لها غداً يُرجى ، وأمس يستعاد

* * *

شبان مصر تزودوا لغد ، وبعد غد ، بزاد
أنتم حماة عرينها ولكم معاقلها تشاد
إن زاد غيركم العدا فرداً فلا كان الزيادة
أو سُدَّتْ فى أمة ذلت ففرحتها حداد
من ذا يسود وحوله وطن على ضميم يساد
لا يخرجَلَن غداً إذا ما حل من عيد الجهاد

* * *

إلى مهرجان السودان

يا جيرة المورد فى الوادى كونوا هناك مورد الصادى
صاد إلى الماء وصاد إلى علم لمن يطلبه هاد
هاد كما قد أسفرت شمسكم بساطع فى الجو وقاد
لولا معاذيرى لحياكم منى مُطيفاً رائح غاد
فإن أكن أوفدت شعري لكم فذاك عندى خير إيفاد
إلى اللقاء المرجى فى غد تحيتى للحفل والنادى^(١)

(١) هذه الأبيات هى تحية صاحب الديوان إلى مهرجان الأدب الذى يقيمه أدباء السودان مرة فى كل عام .

فى عالم الذكرى

ثلاث عشرة حجة (١)

مـرـت بنا الأيـام وثبـا	سـلـمـا كـما شـاءت وحـربـا
لا أحـسـنت حـربـا ، ولا	فى السـلـم طـاب السـلـم غـبـا (٢)
ضـمـنت لجـيـشـيـها مـعـا	غـصـبـا كـما اشـتـهـيا وغـلـبـا
فإـذا الحـوادث أقـبـلت	أو أدبـرت فالخـلق تُهـبـى
العـام من أعـنـوامنا	يـحـوى - جزاه اللـه - حـقـبـا
وثـلاث عـشـرة حـجـة	قـلبـت طـبـاق الأـرض قـلبـا
سـلـها عن الدنـيا وما	صـنـعت بـها شـرقـا وغـربـا
سـلـها عن الوادى وما	صـنـعت بـه دـفعـا وجـذبـا
لا ضـمـير بالمـاضى إذا	دار الزـمان فطاب عـقـبـى

فـالـاً من الذكـرى وكم	فـالـ طـوى فى الغـيب حـجـبـا
وهـدايـة مـنـها وقـد	تـهـدـيك فى الظـلماء قـطـبا (٣)

يا سـعدُ يـومـك فـاسـتـجـب	قـلبـا لمن يدعـوك قـلبـا
جـرد عـزيمـتك التى	أغـنت عن الصـمـصـام غـربـا (٤)
وابـعث نصـيـحتك التى	أغـنت عن التـرياق طـبـا

(١) ألقىت من محطة الإذاعة المصرية فى ذكرى وفاة سعد ، سنة ١٩٤٠ .

(٢) الغب العاقبة .

(٣) إشارة إلى نجم القطب الذى يهـدى فى الظلام . (٤) حدا .

وانشرف فرائدك التى	أغنت عن العقيان كسبا
هذا نذير الشر هببا	والى حمى مصر اشربا
وسرت إلى إفريقييا	عدوى الجهالة من أوربا
طمعوا بحوزة أمة	ظنوا لها الغفلات دأبا
إن قيل لا خطر غفت	عيننا وتاهت عنه لبنا
أو قيل لا طمع فلا	طمع وقرت مصر سربا
أو قيل يا أُم انهضى	نهضت وراحت مصر تأبى
تجرى المخاوف حولها	وتخاله الأمن استتبا

* * *

ياسعد أنت إمامها	فاهتف بها ملا وشعبا
صدع الشقاق صفوفها	وجمعتها بالأمس حزبا
فاجمع جوانب رأيها	شعبا على الحسنى فشعبا
قل أنتمو أعلى يدا	من عابدى الإنسان رهبا
ذلوا فلما استرسلوا	تاهوا ^(١) ب قيد الذل عجبنا
وإذا أتوا عدد الحصى	فرمى بالكم أوفى وأربى
جذب من الصحراء أغلى من	جميم الروض تربا
ظمان يشرب كل من	يغرى بكم أكلا وشربا

* * *

وقل استعدوا واسلكوا	فى مفرق الحديد دربا
لا تُصغفروا هولا ولا	تستكبروا الأهوال رعبا

(١) تاه يتيه : زها واختال .

وتبينوا أين الفريق
 دار الذين سببتهم
 بنثوا بمصر على العدى
 وحذار دعوى معشر
 رحمة عرفوا ولا
 القدوة العليا لهم
 عقدوا على البغى العرى
 الحر فائخذوه صحبا
 حرية - هيهات تسبى
 وعلى الذى يحتال خبا
 لم يؤمنوا بالحق ربا
 عرفوا لغير الشر حبا
 وحش على العدوان شبا
 تبت يد الباغى وتبا

يا آل مصر تذكروا
 سعداً ففى التذكار قربي
 سى استعرت بيانه
 فعلى إن قصرت عُتْبَى^(١)
 إلا اللباب فلاننى
 فى رأى ما أخطأت لبا
 سعد إذا أمضى مضى
 وإذا دعاه الهول لبي

تحية زعيم راحل^(٢)

أكبرت فى غيب الزعيم محمد
 حجب الردى عنا بشاشته ولم
 هيهات ينتقص الزمان مجادة
 فخر الصعيد ، وفخر مصر جميعها
 من يُرْسِلُ المُنْثَى عليه ثناءه
 من كان يكبر حاضراً فى المشهد
 يحجب بشاشة ذكره المتجدد
 للسيد بن السيد بن السيد
 بالرأى ، والخلق القوم الأيد
 مسترسلا فى القول غير مقيد

(١) معنى البيتين : أنى استعرت بيان سعد ، فإن قصرت فى هذه الاستعارة فالعتب على . أما لباب المعنى فلا تقصير فيه ، لأننى لم أخطئه .

(٢) ألفتيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

جمع القلوب على المديح وإن مضت

نهجين بين مصوب ومصعد (١) -

لم تُقَضْ في هذى الديار قضية ومحمدٌ بما قضوه بمبعد
ملءُ النديِّ وإن تطامن دقة كم دقة شحذت مضاء مهئد

في دارة الفلكى قبلة كوكب يعلو على رصد المنايا الرصد
تطوى المغارب جرّمه ، وشعاعه متألّق في أوجهٍ لم يخمد (٢)
أكبرت مطلعه ، ولم يك طالعى في كل حين عنده بالأُسعد
ورأيتُه أقصى وأقرب رؤية فإذا البروج لكوكب متوحد
مهما اختلفت حياله لم يختلف سمت السماء ولا علو المقصد
متحرّزٌ بما يعاب كأنه متقيّد المسعى ، ولم يتقيد
شفت سرائره ، فكل سريرة فيه تضيئك من سراج موقد
فإذا عهدت المحض من عاداته لم تلق يوماً منه ما لم تعهد

عزّ الكنانة فيه فهي فجيلة تبلو الكنانة في الضمير وفي اليد
ما في مروءات الشعوب مروءة إلا رعنه بنظرة المتفقد
البر ، والمشهود من آلائه بين المحافل دون ما لم يُشهد
ومعاهد التعليم بين مشجع للعاملين بها ، وبين مزود
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ سرداً ، فعدد ما بدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هدايةً للمهتدين ، وقدوة للمقتدى

(١) المصوب : النازل ، وعكسه : المصعد .
(٢) الجرّم : الجسم ووزنه والأوج : الدرّة العليا .

وصراحة الأخلاق ما اشتملت على

مستغلق فيها ، ولا متأوّد (١)
والعزة الشماء إلا أنها
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحاً
وعزيمة لا تكره الشورى وإن
شيم وآلاء إذا ما استفردت
كالشاهق الخضر لا كالجلمد
منها سوى الشجن المقيم المقعد
كانت لتكره حيرة المتردد
كالقطب ، عزت فى ازواج الفرقد

* * *
عَزَّ الكنانة والعزاء ليعرب
كم زاد عنهم والخطوب بمرصد
للحق ، لا لخبیثة مطوية
ولنصرة الإسلام لا لعصابة
سمح على ما فيه من غصبية
لا يستطاع على الخصام عناده
من اكسُفورد ، ولو ناه معشر
فيه محافظة ، وفيه طرافة
ورث الحمية كابرًا عن كابر
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما
فإذا بكت مصرٌ فغير ملومة
ما بين مُتهم قومه والمنجد (٢)
والشمل بين مشرّد ومبدد
تلقى العداة الرابضين بموعد
تسعى إلى الإسلام سَعَى المفسد
سهل ، وإن أعياء قَوَى المتشدد
وعليه تعويل الأخ المتوود
للأزهر المعمور لم تستبعد
وأراه فى الحالين غير مقلّد
والأريحية منجدًا عن منجد
سَقِيَاهُ من أصليه أعذب مورد
وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *
رحم إلاله محمداً وأثابه
كان السبيل السرمدي سبيله
فى خلده الباقي ثواب منخلّد
فعليه رضوان الإله السرمد

* * *

(١) معوج . (٢) المتهم : النازل للوادى ، والمنجد : الصاعد إلى الهضبة .

على قبر إبراهيم (١)

« . . . إنا لمحزونون عليك يا إبراهيم ، وإن ما أنا قائل لأيسر ما
يقال فى هذا الموقف الأليم . . . » :

يا قبر إبراهيم مالى	بالبيان هنا يدان
بل فيك تنطلق العيو	ن وفيك ينعقد اللسان
ما كنت أحسب أننى	ألقاك فى هذا المكان
يا من حملت إليه أكر	م ما يعز ، وما يصان
جثمانك العف الطهو	ر وقلبك الجم الحنان
وجبينك السمع الذى	ما هان قط ، ولا أهان
وعزيمة لم يثنها	غير الأمانة من عنان
حزنى عليك أبا خليل	ليس يحويه الزمان
وجميل ذكرك فى فمى	وجميل صنعك فى الجنان
ماذا أقول ؟ ومن يعين	على رثائك ، أو يعان
أغناك فضلك ناطقاً	بالصدق عن نطق البيان
فعليك سابغ رحمة	ونعيم خلد راضيان
وسلام ربك عاطراً	وسلام قومك مجمعان

* * *

(١) ألقيت على قبر السرى الكبير إبراهيم عامر باشا يوم وفاته ، وكان - رحمه الله -
مثلاً لعلو الهمة ومكارم الأخلاق .

أه من التراب (١)

أين فى المحفل «مى» يا صحاب ؟
عودتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناح
مستجيب حين يُدعى مستجاب
أين فى المحفل «مى» يا صحاب ؟

سائلوا النخبة من رهط الندى
أين مى ؟ هل علمتم أين مى ؟
الحديث الحلو واللحن الشجى
والجبين الحر والوجه السنّى
أين ولى كوكباه ؟ أين غاب ؟

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها ، وهى خضراء ، السنون
كل ما ضمته منهن المنون
غصص ما هان منها لا يهون
وجراحات ، ويأس ، وعذاب

شيم غرّ رضيات عذاب (٢)
وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاء المعى كالشهاب

(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة : مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

(٢) عذاب بكسر العين : جمع عذبة .

وجمال قدسى لا يعاب
كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

كل هذا خالداً فى صفحات
عطرات فى رباها مثمرات
إن ذوت فى الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب

من جناها كل حسن نشتهيه
متعة الألباب والأرواح فيه
سائق مُيِّز من كل شبيه
لم يزل يحسبه من يجتنيه
مُفرد المنبت معزول السحاب

الأقاليم التى تُنميه شتى
كل نبت يانع ينجب نبتا
من لغات طوّفت فى الأرض حتى
لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا
وحواها كلها اللب العجاب

يا لذاك اللب من ثروة خصب
يُبرِّق يقبس من حس وقلب

بين مرعى من ذوى الألباب رحب
وَعَنَى فيه ، وَجُودِ مستَحِب
كَلَمًا جاد ازدهى حُسْنًا وطاب

* * *

طلعه الناضر من شعر ونثر
كرحيق النحل فى مطلع فجر
قابل النور على شاطئ نهر
فله فى العين سحر أى سحر
وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حى «مَيَّأ» إن مَنْ شيع ميا
منصفًا حيا اللسان العربيا
وجزى حواء حقًا سرمديا
وجزى مَيَّأ جزاء أريحيا
للذى أسدت إلى أم الكتاب (١)

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذى صاغته طبعًا واكتسابا
والذى خالته فى الدنيا سرابا
والذى لاقت مصابًا فمصابا
من خطوط قاسيات وصعاب

* * *

(١) أم الكتاب هى اللغة العربية .

أُتْراها بعد فقد الأبوين
سلمت في الدهر من شجو وبَيْن
وأسى يظلمها ظلم الحسين
ينطوى في الصمت عن سمع وعين
ويذيب القلب كالشمع المذاب

أُتْراها بعد صمت وإباء
سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كل ما فيه رياء
وعداء كل ما فيه افتراء
وسكون كل ما فيه اضطراب

رحمة الله على «مى» خصالا
رحمة الله على «مى» فعالا
رحمة الله على «مى» جمالا
رحمة الله على «مى» سجالا
كلما سُجل في الطرس كتاب

تلکم الطلعة ما زلت أراها
غضة تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضواء في سناها
وفروع تنهادي في دجاها
ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

غاب والزهرة تؤتى الثمرات
ثمرات من تجارب الحياة
خير ما يؤتى حصاد السنوات
بعثرتهن الرياح العاصفات
ورمتهن تراباً فى خراب

* * *

رُدْ ما عندك يا هذا التراب
كل لب عبقرى أو شباب
فى طواياك اغتصاب وانتهاج
خلقاً للشمس أو شم القباب
خلقاً لا لانزواء واحتجاب

* * *

وثيك! ما أنت براء ما لديك
أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد «مى» غير موكل إليك
مجد «مى» خالص من قبضتيك
ولها من فضلها ألف ثواب

* * *

عام محمد (١)

جَدَّدَ العهد بعد عام محمد تلك ذكرى على المدى تتجدد
خلق لا يزال قدوة جيل بعد جيل ، أخلق به أن يخلد

(١) ألقى فى الذكرى الثانية بعد انقضاء عام لوفاة المغفور له محمد محمود باشا رحمه الله .

بل طراز من المكارم باق
 ومعان غراء هيهات تُحصَى
 إنما يُذهب الزمان فقيداً
 ليس يُفنى الزمان مَنْ كُلما عس
 أين من كان رحمةً وهو بأُس
 أين من كان للمساكين عوناً
 أين من كان مُنيّةً المتمنى
 أين من عُود الإباء صبيّاً
 أين من كلما تقلد امراً
 أين من كان مرجع القوم فيما
 أين من كان قولهم فيه شتى
 أين من كان قائداً وهو فيما
 سألوا أين أين ؟ وهو قريب
 هو فى كل معهد يتراءى
 هو فيهم وقد تغيب عامّاً
 رب دان مجسد لا نراه

كلما عده الكرام تعدد
 كثمار الفردوس هيهات تنفذ
 إن تقضى الزمان لم يُتفقّد
 عس ليل سمعت : أين محمد؟
 أين من كان أمةً وهو مفرد
 وله فى ذؤابة الجحد مسند
 فى مغيب من الوداد ومشهد
 ولكل من دهره ما تعود
 صان فى جیده عرى ما تقلد
 صدع العزم أيدياً (١) فتبدد
 والطوايا فى وصفه تتوحد
 نتقيه جندى مصر المجند
 منهم فى جواره غير مبعد
 هو فى كل مسمع يتردد
 لا يرى قاصداً ، وإن كان يُقصد
 وبعيد نراه غير مجسد (٢)

مصر يا أمة الخلود المشيد
 أنت فى نعمة وخير عميم
 لك فى الذكريات كنز رجاء
 والوفاء الذى رسا وتوطد
 ما تعهدت خير ما يتعهد
 أبد الدهر بابه لا يوصد

(١) صدعه أيدياً : أى حطمه بدداً وشتته وبعثه .

(٢) رب قريب ملموس لا يرى لتفاهته ، ورب بعيد غير محسوس نراه للحاجة إليه ولأهميته .

فاذكري الغابرين وادخريهم
 إنهم مهّدوا الطريق ولولا
 اذكري كلما بلغت زهيدا
 واذكري كلما بلغت عظيما
 إن ما ضاء كان بالأمس ظلما
 والذي في يدك كان سرايا
 وارقبي العالم المطل علينا
 الحروب التي تفضج وغاها
 إننا في يديه لعبة لاه
 ما مضى من زماننا أو سيأتي
 الجنين الموعود لا تجهلوه
 هو حي ، إن لم يكن قد تسمى
 باسمه في قرابه فكأنَّ قَدْ (١)

فاجمعوا عُدةً من الأمس تُرضى

واجمعوا عُدةً من الغد تُحمد
 أنتم في كنانة الله أهل
 ولكم من صيانة الله شروى
 كل حق لكم فغير مضاع
 أن تصدوا السهام وهي تسدد
 ما تصونون من فخار وسؤدد
 ما رعيتم حقاً لمثل محمد

* * *

(١) «كأنَّ قد» تعبير معناه أن الأمر كأنما كان وتم .

الشهيد معاوية

... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السوداني النابغ
معاوية محمد نور ، وقد لقي نصيباً من سقامه وعوجل - رحمه الله
- فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل
كبير لم تنجزه المقادير .

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ،
عوض الله الأدب فيه خير العوض ، وعزى الأدباء أحسن العزاء :
أجل هذه ذكرى الشهيد معاوية

فيا لك من ذكرى على النفس قاسية
أجل هذه ذكراه لا يوم غرسه
ولا يوم تكريم ، وديناه باقية
فما أقصر الدنيا التى طول الضنى
أصائله فيها ، وأشقى لياليه
وما أضيع الآمال آمال من رأوا
مطالعه فى مشرق النور عالية
ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا
على الأفق أخرى أن يعم نواحيه
بكائى عليه من فؤاد مفرج
ومن مقلة ما شوهدت قط باكية
وأغصانه تختال فى الروض نامية
بكائى على ذاك الشباب الذى ذوى
وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
لما ، وأخرى لم تزل فيه خافية
فضائل منها نخبة أزهرت لنا

تبينت فيه الخلد يوم رأته
وما بان لى أنى أطالع سيرة
وما بان لى أنى أطالع سيرة
وأن اسمه الموعود فى كل مقول
نحواتيها من بدتها جد دانية
أجل هذه ذكراه يا نفس فاذكرى
سيسمعه الناعون من فم ناعية
فجميعتنا فيه ، وما أنت ناسية

أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفى عليه شأبيب^(١) المدامع دامية
إذا قصرت أيام من نرتجيهم
فيا طول حزن النفس والنفس راجية
ويا طول حزن النفس وهى منيبة
إلى اليأس من عجز بها ، وهى أبية
فيا يوم ذكراه سنلقاك كلما رجعت إلينا ، والضمائر صاغية
ويا عارفيه لا تضنوا بذكره

ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعيروه بالتذكّار ما ضمن دهره به عيشة فى مقبل العمر راضية
وزيدوا النفس النزر من ثمراته بتكرارها فى القلب أولى وثانية
فإن لم تكن فى العد كثرًا فباركوا معانيها حبًا ، ووقوا معانيه
عليه سلام لا يزال يعيده ويبيده شادٍ فى الديار وشادية

* * *

عبد القادر

جل المصاب بفقد عبد القادر^(٢) ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق فى تاريخه ، الملبس الماضى لباس الحاضر
الناقد الأنباء نقد صيارف ، الوازن الآراء وزن جواهر
المستعين على السياسة بالحجى والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت يوماً لمنتقم ولا لمناظر
الدارس الأيام درس مجرب يلقيه باطن سرها كالظاهر

(١) جمع شؤبوب ، وهو دفعة المطر .

(٢) هو فقيد الكتابة والصحافة ، المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، صاحب «البلاغ» .

الصابر المزجى الخطوبَ بصبره
 الباذل الدنيا على علم بها
 المستعزّ بوحدة الأسد الذى
 الراسخ الجمل الوقار ، بغير ما
 الصامت النزر الكلام بغير ما
 الوادع السهل الطباع بغير ما
 الصاحب المبقى على أصحابه
 الوالد البر الرفيق بولده
 الثائر الوطنى فى ميدانه
 الصارم الماضى السلاح وعنده
 عرف الحقائق فاستراح جنانه
 ووعى عواقبها فلم يع صدره
 حتى يزلن ، ونعم أجر الصابر
 فى اليسر والإعسار ، بذل مسافر
 يأبى التجمع فى القطيع النافر
 عنت يصيب ملالة من زائر
 حصّريعيب ، ولا كلاله خاطر
 سلس لبّاغ ، أو مهابة أمر
 ما بين واف منهم أو غادر
 وباله رفقّ العليم الشاعر
 عجبى له من مستقر ثائر
 بعد ارتداد السيف عتبى عاذر
 من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
 بغضاً لمعتقد ولا لمكابر

علمى به علم المطالع زاده
 كم مرّ من يوم ضحك بيننا
 خضنا الحياة معاً على علاتها
 وجرى يراعانا ^(١) معاً فى حلبة
 ذكراه والأيام عابرة بنا
 ذكرى القشيب من الشباب تزينها
 عهدان من عشرين لو نُسجا معاً
 علم على بعد ، وعلم معاشر
 أو مر من يوم عبوس كاشر
 متلاحقين مع الشباب الباكر
 عزت على غير الطمر الضامر
 نعم العتاد لذاكر ولعابر
 ذكرى المشيب من الجهاد الظافر
 لم تدر أيهما مكان الآخر

(١) أى : قلمانا .

يا يوم منعاه سبقت بمنذر فى الصدر من وحى الهواجس صادر
يوم لمست النحس قبل صباحه وطويت فيه عل الهموم ضمائر
ومشى النهار إلى منقبض الضحى كالليل ، مشية مستكين عائر
خُيرت فيه فحين زالت حيرتى زالت بأفدح من ظنون الحائر
بذهاب نابغة ومصرع غالب وختام عهد بالعظائم عامر
وفجیعة لا كالفجائع فى أخ وزميل أقلام وصنو منابر

تمضى السنون وفى الصحائف صفحة

تبيض فخرًا ، وافتقاد محابر
ما كان خط مداده فى طرسها إلا بياض جبينها المتباهر
أسفى عليها وهى لابسَةٌ له ثوب الحداد من البياض الشاغر
وعزیزةً للنابغين نظائر فى الشرق تتلى بعدهم بنظائر
فإذا بكى الباکی علیه فإنما يُذرّی الدموع على عزیز نادر
وإذا جزیناه الوفاء فبعض ما وفى الحقوق لحاضر ولغابر
إن الذى حفظ العصور بذكره حقٌ له ذكرى الثناء العطار
وتراث عبد القادر الباقي لنا فيه «البلاغ» لقارئ ولذاكر

هنا وهناك

تفسير حلم

مهدة إلى صحيفة النيل الغراء بالخرطوم

تفسير حلمى بالجزيرة (١)	وقفتى فى المقرن
حلمان حظهما خيا	لا دون حظ الأعين
ما دمت بينها فما	أنا سائل عن مسكنى
وإذا التذكر عاد بى	عطف الجديد فردنى
يا جيرة «النيل» المبا	رك : كل نيل موطنى
وله سمي فى الصحا	فة معرب لم يلحن (٢)
حيث فيه سميّه	وحملت فيه مأمنى

* * *

صوت السودان

صوت (٣) من السودان أس	معنى بمصر فسرني
تهفوله الأسماع صا	غية ولم يستأذن
فيه بشاشة وامق	ومبشر ومؤمن
لولا حفاوته الكريمة	ما علمت بأننى (٤)

(١) إشارة إلى جزيرة مصر المشهورة ، والمقرن هو حديقة بالخرطوم فى موضع الاقتران بين النيلين .

(٢) السمي هو من يحمل الاسم نفسه ، ويقصد أن لنهر النيل سميا فى الصحافة هو صحيفة النيل .

(٣) إشارة إلى صحيفة «صوت السودان» الغراء من أكبر صحف الخرطوم .

(٤) هذا الرصل لا يرضاه العروضيون ، ولا نجرى على مذهبهم فيه .

فأرقت من مصر الجديدة ذات يوم مسكنى
شكراً له صوتاً تبين من لسان بين
مستلهم لغة القلوب مترجم بالأعين
شمل العروبة كلها وسرى إلى فخصنى
ماذا أقول وقد سبقت بكل قول ممكن
قدم العهود أحبلى من بدعة المتفنين
من كان ديدنه الصنا عة فالسليقة ديدنى

شعر الأسود

كم هازل بالشعر جهده
يهذى به ويعاف جده
ما الشعر للنسناس وحده
كم ألهم التبيان أسده

القمر والظلام

لا أوتر القمرء فى حسنھا على الدجى ، والطرف فيه يحوم
سناك يا بدر يرينى الثرى وظلمة الليل ترينى النجوم

صداح الأثير^(١)

ملاً الآفاق صداح الأثير لا فضاء اليوم . بل صوت ونور
لك من كل فضاء شاسع حيثما يمت ، داع وبشير
ما صفاء الجو إن فتشته غير أصداء حوالك تمور
لجَبَ لَكِنَّهُ مَسْتَأْذِنٌ يطرق السمع بسلطان قدير
أو هي الأرواح إن قلت احضري

حضرت ، أو شئت أعيها الحضور
قليل أمواج . فقلنا وبحور من معان وبيان وشعور
تركب الأبواب فيها سفناً سبّقا بين طويل وقصير
حملت من كل زاد ، وقّرت كل غاد ، ووعت كل أثير^(٢)
ولها في كل يوم مدد يلتقى الأول فيه والأخير

* * *

كان فرعون له مجلسه وهو ذو الصرح المعلى والسرير
ولنا في كل دار مجلس يسع العالم أياں يدور
هو ناد لك ، أو مدرسة أو مجال سبق ، أو ملهى السرور
غلب الوهم الذى زينّه فى الأساطير خيال مستطير
دعوة المارد إن قيست إلى دعوة المذيع ظن وغرور
بورك العلم لعمري إنه من صفات الله ، والله قدير
ربما أسمعنّا فى غده نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

(١) اقترحت محطة الإذاعة المصرية موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(٢) الأثير هنا يعنى الماثور ، وهو المفضل المنتقى .

مُسْمَعُ الْعَالَمِ فِي عَاصِمَةِ تَسْبَحُ الدُّنْيَا إِلَيْهَا وَتَطِيرُ
لَا يَقْرَأُ الدَّهْرُ إِلَّا مَادَتْ فَإِنْ سَكَنْتَ فَالدَّهْرُ حَوْلِيهَا قَرِيرُ
بَنَيْتَ حِينًا عَلَى الْبَأْسِ وَمَا رَصَدَتْهُ الْيَوْمَ إِلَّا لِمَغِيرِ
جَمَعْتَ أَوْصَالَهَا حَرِيَّةً يَسْتَبْوِي فِيهَا قَلِيلٌ وَكَثِيرُ
وَحْصِيمِ الْأَمْسِ مِنْ أَعْدَائِهَا هُوَ فِي مَعْمَعَةِ الْيَوْمِ نَصِيرُ
كُلُّهُمْ ، وَالْأَمْرُ شُورَى بَيْنَهُمْ ، مُسْتَجِيرٌ فِي حِمَاهُ وَمَجِيرُ

عَامُكَ الثَّالِثُ أَمْ شَرَحَ الصَّبَا ؟ أَنْتَ فِي مَهْدِكَ جَبَارُ جَسُورِ
لَسْتَ بِالْحَبِيبِ وَخَبِيرًا إِنَّمَا أَنْتَ بِالْوُثْبِ عَلَى الْأَفْقِ خَبِيرُ
رَاكِبُ الرِّيحِ إِذَا قَيْسٌ إِلَى خَطْوِكَ الْوَانِي سَلْحَفَاةُ كَسِيرِ
حَدَّثَ الدُّنْيَا حَدِيثَ الضَّادِ مِنْ سَاحَةِ رُثْلٍ فِيهَا شِكْسِيرُ
وَأَعَدَّهُ سَارِيًا حَيْثُ سَرَى زَمْنًا فِي مَغْرِبِ الشَّمْسِ الْمَنِيرِ
طَالَمَا رَنْتَ عَلَى آفَاقِهِ نَغْمَاتٍ مِنْ نَظِيمٍ وَنَشِيرِ
مَنْ رُبَا أَنْدَلَسَ حِينًا وَمَنْ قَمَمَ الْأَطْلَسَ حِينًا وَالثُّغُورِ
هَاتَهَا فِي نَسْقٍ مُوصُولَةٍ يَلْتَقَى «بَيْرُون» فِيهَا وَجَرِيرُ (١)

نَاقِلُ السَّرِّ وَمَا أَعْجَبَهُ فِي رَحَابِ الْكُونِ مِنْ سَرِّ جَهِيرِ
تَسْمَعُ الْقُطْبَيْنِ ضِدَيْنِ كَمَا يَسْمَعُ النُّجُوى سَمِيرٌ مِنْ سَمِيرِ
عَصَبُ الْأَنْسَابِ يَا هَذَا الْأَثِيرِ

أَنْتَ فِي الْأَرْضِ ، وَفِي الْكُونِ الْكَبِيرِ
كُلْنَا فِي رَحْبِهِ عَائِلَةٌ حِينَ تَسْرَى أَنْتَ أَوْ حِينَ تَسِيرِ

(١) هُوَ الشَّاعِرُ الْإِنْجَلِيزِيُّ الشَّهِيرُ الْلُورْدُ بَيْرُون . وَجَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ الشَّاعِرُ : الْأُمَوِيُّ الشَّهِيرُ .

تنظم القربى على طول المدى من ذرى الشعرى إلى قاع البحور
عجبنى من عالم تجمعه أذن - كم فيه من قلب نفور !
قل حديث الحرب والسلام معاً رب حرب هى للسلم عبور
أنت بالصدق كفيل أن ترى أم الأرض إلى الحق تصير
يملك اللب حليفاً راضياً من له فى دولة السمع سفير

إلى «المستمع العربى» بلندن (١)

دعوت إلى حق وأسمنت واعياً فُحييت مدعوا ، وحييت داعياً
وَأَثَرْتُ للعرب اللسان الذى به تنزل وحي الله للعرب هادياً
وناديتهم من جانب الغرب مثلهم فتى عربياً واضح الصوت عالياً
أصاخوا فلم يستنكروا القول عجمة

ولم يسمعوا منه لساناً مداجياً
إذا الحر ناجى الحر فليلقِ قوله صريحاً ، ولا يومئ إليه موارياً
على ذاك يمضى «اللندنى» محدثاً فيصغى إليه «القاهرى» موالياً
ويصغى ابن بغداد إليه محدثاً وينقل عنه شعب مكة راوياً
وفى جلق (٢) واع ، وفى القدس شاخص

وفى برقة شاد يجابوب شادياً
حقائق فى شرق البلاد وغربها يساجل فيها الحاضرون البواديا (٣)
يؤلف شملهم على البعد أنهم

أَبَوُا أَنْ يطيعوا فى سوى الحق راعياً

(١) اذيعت فى مطلع العام الثانى لـ «المستمع العربى» التى تصدرها محطة الإذاعة العربية بالعاصمة الإنجليزية .

(٢) اسم من أسماء دمشق .

(٣) الحاضرون هم سكان الحواضر .

وأنهم للظالمين بمرصـد
وأن الذى أوصى به الشرق بادئاً
فيا لك من حرية جمعتهما
وما عصابة الأحرار إلا أخوة
فلا جاور الشرق امرؤ يصطفى له
ولا زال هذا الشرق بالحق أمراً
طغاة على من يحكم الناس طاغيا
تواصى به الأحرار فى الغرب تاليا
إلى نسب عال عليه تلاقيا
إذا اشترك القطبان فيها تأخيا
عدواً لآمال الشعوب معاديا
ولا زال هذا الشرق بالحق ناهيا

إلى «مسمع العرب» الكرام تحية
أرى لك فى سن الفطام شببية
والمح من بشراك طالع مولد
سبقت ركاب النصر حتى كأنما
وأتممت حولاً واحداً فتحوّلت
أحى بها عاماً من العمر ثانيا
تسابق فى العام القرون الخواليا
تلاقيه أبراج السعود حوانيا
خففت لتلقاه على القرب آتيا
مخاوف أقوام فلاحت أمانيا (١)

فإن شئت كن فألا ، وإن شئت هاتفاً

إذا أسمع الضليل أقبل ناجيا
تبليت الأسماع حيناً ، وأطبقت
وهيهات ما كان الرجاء مغيباً
يقينى الذى لم يطرق الشك سمعه
وأن الذى خالوه صرعة هالك
وقد هجر الغافى المضاجع فانظروا
توثب للعدوان فليمضن واثباً
صروف قضاء ظنه القوم قاضيا
لمن رامه ، كلا ولا الأمر خافيا
سحابة يوم أن للحق واقيا (٢)
نذير إذا ما أشتد أيقظ غافيا
على الساهر الجهد المكتم باديا
على غرة منه لينقض هاويا

(١) اتفق فى إبان الاحتفال بعام المجلة لثانى أن تحولت كفة النصر إلى جانب الدول الديمقراطية .

(٢) كانت أحاديث العقاد دوماً تبشر المحور النازى بالهزيمة ، حتى وهو فى أوج انتصاراته .

إلى مسمع العرب الكرام نبوءتى فسلنى غداً عنها ، وما أنت ناسيا
سيدبر شر كان بالأمس مقبلا ويقبل خير كان بالأمس نائيا
ويصعد نجم العرب فى الشرق ساطعاً

ونجم حليف العرب فى الغرب ساطيا
كفيلى بما أنبأت صدق رؤيئة ترى الغد من مستقبل الدهر ماضيا
فلا انخدعت ، والحمد لله ، ضلة ولا خدعت يوماً وفيّاً موافيا
غداً ، فانتظرنى باليقين إلى غد وهاك التحايا قبله والتهانيا

بين التعب والراحة

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد
ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد !
ما ابتغاء المزيد من يوم أمن عاطل لا يزداد بالتعداد
فالزمان المريح تكرر شيء واحد وأطراد حال معاد

هذا هو التاريخ

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يوماً على المسرح !

النقد

أعطيتهم لؤلؤاً حراً فحين رأوا صغيرةً منه صاحوا : أى إفلاس !
وجادهم بالحصى غيرى فحين رأوا خريزةً فيه قالوا : أكرم الناس

الظن

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا
وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألفاً عين ، وإن تشأ
فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

رأى الناس

من عود الناس خيراً طالבו به كأنه الدين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقبهم شراً فأمهلهم يوماً تقبّل منهم أجر مشكور
لا رأى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

بين همّ وسامة

أتهتم بالدنيا ؟ فتلك حبيبة - إليك فما تخليك يوماً من الهم
أليس لها همّ ؟ فهاتيك خلة (١) صداقتها أضنى من الهم للجسم
وما بين هم دائم أو سامة خيار لختار وحكم لذى حكم
فخذها على علاتها والى عيشها شقياً بعلم ، أو شقياً بلا علم

(١) الخلة هى الخلية والصديقة .

الطيش والحزم

الطيش أن تعمل ما تشتهى .. وقد يساوى النفع فيه الضرر
والحزم أن تحذر ما تتقى وقلما يغنيك فيه الحذر
كُفؤَانِ إن وازنت حظيهما ...

يا صاح . فاختر منهما ما حضر !

يا كتيبى

فى ختام الجزء الأول من الأجزاء الأربعة المجموعة فى مجلد
واحد قصيدة بهذا العنوان ، جاء منها هذه الأبيات :

يا كتيبى أشكوا ولا أغضب	ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتيبى أورثتنى حسرة	هيهات لا تُنسى ولا تذهب
يا كتيبى ألّبت جلدى الضنى	لم يغن عنى جلدك المذهب
كم ليلة سوداء قضيتها	سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألح تحت الدجى	جماجم الموتى بدت تنطب (١)
والناس إما غارق فى الكرى	أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق واقاه معشوقه	فقال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله	بيومه الماضى وما يُعقب
ينتفع المرء بما يقتنى	وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى	وخبرة صاحبها متعب

(١) الكتب فى الغالب موتى يتكلمون ، فإذا قرأت فيها فكأنك تصنى إلى جماجم
تتكلم .

وختمت القصيدة بهذا البيت :

لا رحم الرحمن فيمن مضى من علم العالم أن يكتبوا

والقصيدة الجديدة فى هذا الديوان تشير إلى تلك الأبيات بما ورد فيها من المقابلة ، وهذه هى :

شكوتها والعمر فى فجره	فكيف بى لما دنا المغرب ؟
لما دنا المغرب صالحتها . . .	تلك التى تُشكى ولا تغضب
تلك التى قلت لها مرة	والقلب دام والحشا ملهب
« يا كُتُبى أورتنى حسرة	هيهات لا تنسى ولا تذهب »
« يا كُتُبى ألبست جلدى الضنى	لم يغن عنى جلدك المذهب »
فالآن يا كُتُبى تعالى لمن	أخبتُ شىء عنده طيب
ما أنت شر من عناء المنى	وهى التى فى صدقها تكذب
ما أنت أقسى من شقاء الهوى	وهو الذى فى لهوه يتعب
ما أنت أغلى ثمنًا ، إن غلا	من جوهر يكثر أو يعطب
ما أنت فى سكر وفى متعة	أحلى من السم الذى يشرب
ويحك ! إنا نحن من معشر	يسبق فينا « الدور » أو يعقب
غداً سنمسى كلنا ما لنا	فى العيش إلا رَفْكُ المُتْرَبِ
فليت لى إذ أنا تحت الثرى	جمجمة ثرثرة تخطب
رهطاً من القراء يرضوننى	رضاً عن بلواك إذ أغضب
يا كُتُبى ما شئت فلتحسبى	أو شاء قرائى فليحسبوا

عجز أو قدرة

علمينى كيف لم تضطربى بين أسماء الأقاصى والأدانى
أنا لو لاقيت أخرى مرة

خفت أن يخلط باسمين لسانى

الغوانى فى حجاب دائم ... عبث كل سفور للغوانى
قدرة فيهن أم عجز طغى أم هما فى لحظة مجتمعان ؟
من فناء الغيد فى حاضرها نسيها من غاب عنها كل أن

جواب جميل

قال جميل ابن معمر صاحب بثينة :

ألا أيها النوام ويحكمم هُبُوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟
وأجيب بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقدين فلو درى بنا الحب لم يرقد لنا أبداً جنب
وسل راقدى الأجداث ^(١) عنه فإنهم

مجيّبوك عن علم بمن قتل الحب !

* * *

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

(١) الأجداث هى القبور .

وقد أجيب بذلك اللسان :
أفق مزعج الموتى فلو كنت قادرًا
على أن تهبَّ اليوم من صرعة هبوا
ولست إلى أن يُسمَعَ الصورُ سامعًا
هنا سر مقتول يبوح به صنب !

* * *

الفقير

ثروة المرء بما يطلبه لا بما يملكه بين يديه
مالك الأرض فقيرٌ إن رعى مطلبًا يطمح بالعين إليه
والذى أفقر منه طالبٌ وُدَّ قلبٍ ماله وُدُّ لديه

* * *

ويلنا

من غلا عنده السرور رخيص كاسد السوق فى كبار الأمور
والذى يستحق كل سرور عجبًا يزدري بكل سرور !
إن غلا عندنا النعيم رخصنا ويلنا ويلنا بدار الغرور

* * *

سيان

إن قيل بالحق أو البهتان
دعهم يقولون ، وقل سيان !
سيان مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخصمان

سِيَان أَلْفٌ هِيَ أَوْ أَلْفَان
 سِيَان بِيْدٌ هِيَ أَوْ مِغَان (١)
 سِيَان نَوْرٌ أَوْ ظَلَامٌ فَا
 سِيَان مَن يَلْهُو وَمَن يَعَانِي
 قَلْهَهَا بِبِرْهَانٍ وَلَا بَرْهَانٍ
 وَأَنْتِ أَنْتِ أَحْكَمُ الزَّمَانِ
 وَإِنْ تَصَدَّقُوا لَكَ بِالنَّكَرَانِ
 أَوْ ضَحِكُوا سَخِرًا فَقُلْ سِيَان !

أَتَمْنِي

أَتَمْنِي يَوْمًا لَوْ أَنَّ حَيَاتِي تَنْقُضِي كُلَّهَا وَلَا أَتَمْنِي
 أَتَمْنِي وَقَدْ أَطَلْتُ التَّمْنِي لَوْ تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أَنْ أَتَمْنِي
 أَتَمْنِي لَوْ عَلِمْتَنِي اللَّيَالِي بَاطِلَ الْأَمْرِ قَبْلَ أَنْ أَتَمْنِي
 مَنِيَّةٌ لَوْ تَحَقَّقَتْ لَتَسَاوَى مَا تَمْلِكْتَهُ وَمَا أَتَمْنِي

الصَّرْفُ وَالْمَزِيجُ

رَبِّ مَا بَالُنَا نَغْصُ بِأَحْلَى مَا شَرَبْنَا وَفِيمَ يَا رَبِّ يَحْلُو ؟
 رَبِّ وَالْعَيْشُ فِيهِ حَلُوٌّ وَمَرٌّ لِمَ لَا يَمْحُضَانِ وَالْأَمْرُ سَهْلٌ ؟
 لِمَ لَا يَصْفَوَانِ فَالشَّهْدُ شَهْدٌ حِينَ يَعْطَى الْعِبَادَ وَالْخَلُّ خَلُّ
 إِنَّ خَلًّا يَشُوبُ شَهْدًا ضَلَالٌ وَلِشَهْدٍ يَشُوبُ خَلًّا أَضَلُّ !

(١) البِيدُ : الصحارى والمغاني : الحدايق .

خداع النفس

يقول وما قضى عجباً فتى يخبط فى حدسه
أىخدع نفسه رجل له عينان فى رأسه ؟
أجل يا صاح : عينان ! وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود وقاك الله من دسه

كيمياء وصيرفى

قال ابن الرومى :

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا
ولم يقل :

إن للحظ صيرفياً أريباً يقتفى كيمياءه أحيانا

جنة الخيام

رغيفاً خبز ووجه حلواً ، وكأس مدام
وتلك جنة عدن فى مذهب الخيام (١)

قالوا : ونودى يوماً ما تشتهى فى يديكا
دع مطلباً منه فرداً والباقيان لديكا

(١) عمر الخيام : الشاعر الفيلسوف الفارسى ، وله رباعية بهذا المعنى .

فحار بين رغيف إن فاته مات جوعا
وبين وجه منير إن غاب غابت جميعا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداع مناه أفاق وهو غيبين

* * *

طال التردد فيها فمال عنها كظيما:
سألت جنة خلد وما سألت جحيما

* * *

قالوا فناداه صوت يقول في غير رفيق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فرط صدق:

* * *

«أتلك جنة خلد تهذى بها يا حكيم
بمطلب إن عداها ترتد وهي جحيم؟»

* * *

بيجو

« ... صور كثيرة بقيت فى خلدى من الإسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ .
وستبقى ما قدر لها البقاء .

وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف
أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديقى «بيجو»
الذى فقدناه هناك .

وانى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها
الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فإن الناس قد أثبتوا فى
تاريخهم أنهم أجهل المخلوقات بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك
بصناعة التحقير . . فكم من مبجل بينهم ولا حق له فى أكثر من
العصا . وكم من محقر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء
والاحتقار .

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة
أشهر الصيف الجديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى
مطروح ، أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له
ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين
والمحدثين . فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أياماً فى
القاهرة وأياماً فى الإسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو
فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ، ولا عزمتم على
اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى

القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع . ولكنّ المخلوق الأمين الوفي أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الإسكندرية وكلما رجعت منها . لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية . وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ أحمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى «فى عالم السدود والقيود» .

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثّر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقرّبها إلا على مسافة أشبار . وبيعجو مخلوق حساس مفرط الإحساس ، ما هو إلا أن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى ، فكنا إذا تعمّدنا تخويفه وزجره نادينا : «يا شيخ أحمد» ! فإذا بيعجو تحت أقرب كرسي أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد .

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح بيعجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والإياب . وأصبح يزاملنا من القاهرة إلى الإسكندرية ومن الإسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع . وشاعت له نوادر فى معاكسته للموظفين ومعاكسة الموظفين له يتألف منها تاريخ وجيز . ثم أصابه فى الإسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشياً فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكاناً أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه .

وإني لفي ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب
لحجرتي وخذش يكاد لا يبين . ففتحت الباب فرأيت المخلوق
المسكين قابلاً في ركنه يرفع إلى رأسه بجهد ثقيل . وينظر إلى
نظرة قد جمع فيها كل ما تجمعته نظرة عين حيوانية أو إنسانية من
معاني الاستعطاف والاستنجد والاستغفار . أحس المسكين وطأة
الموت فتحامل على نفسه وخطا من حجرته إلى باب حجرتي
وجلس هنا يخذش الباب حتى سمعته وفتحت له وهو لا يزيد
على النظر والسكوت .

كان اليوم يوم أحد . ولكننا بحثنا عن الطبيب في كل مظنة
لوجوده حتى وجد ، وشاءت له مروءته الإنسانية أن يفارق صحبه
وأله في ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن
مريضه الذي تعلق به وعطف عليه ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو
يفارق هذه الدنيا التي لم يصحبها أكثر من سنتين .

سيبتى من صور الإسكندرية ما يبقى وسيزول منها ما يزول ،
ولكني لا أحسبني ناسياً ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل ،
يقول بها كل ما تقوله عين خلقها الله ويودعها كل ما ينطق به فم
بليغ من استنجد واستغفار ، كأنه يعلم أنه أقلقني ولا يحسب ما
كان فيه عذراً كافياً لإقلاق صديقه .

ومن شهد هذا المنظر مرة في حياته علم أنه لا ينسى ، فإن لم
يعلم ذلك فهو أقل الناس حظاً من الخلائق الإنسانية ، لأن البعد
من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان . بل
يقربه منه غاية التقريب . . . »

هذه كلمة من مقال نشر بمجلة الرسالة الغراء (٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨) وفيها ما يصلح أن يكون مقدمة للقصيدة التالية . ولكنها مقدمة تفتقر إلى تنمة من مقال آخر نشر فى الرسالة أيضاً بعنوان «كلبى بيجو» قبل ذلك بنحو عام . وهذا هو المقال :

«... أنا أكتب هذا المقال عن «بيجو» وهو ينظر إلى ثم يذهب ويعود ليطل مرة أخرى ، ولا يدرى أننى أكتب عنه وأشيد بذكره . وكل ما يدرىه أننى جالس فى هذا المكان الملعون الذى يحب كل مكان فى البيت غيره . وهو كرسى المكتب .

ففى كل مكان فى البيت يرانى مستعداً للملاعبته واستجابة نظراته والتفرج على فنونه وألاعيه وقفزاته . أو يرانى مستعداً للإشارة إليه واستدعائه فإذا هو واثب وثبة واحدة إلى حيث يستوى على مكانه بجانبى ، ويغرينى بملاطفته ومجاملته أن أبذل له الملاطفة والمجاملة وأحييه بعبارات التودد والمساجلة ... ينتظر منى ذلك فى كل مكان إلا كرسى المكتب . فإذا جلست إليه لأكتب أو لأقرأ فهو حائر لا يدرى ما يصنع : يدنو من الكرسى إلى مسافة قصيرة ثم يرفع رأسه وينظر ، ثم يعيد النظر كرة أخرى . ولعله يسائل نفسه : ما بال صاحبنى لا ينادينى ولا يجيبينى ؟ وما بال عينيه تتجهان أمامه وقلما تتجهان ناحيتى ؟ فإذا طال عليه التساؤل والترقب رجع أدراجه وغاب هنيهة ثم عاد إلى المكتب يترقب كلمة النداء أو نظرة الاستدعاء أو لمسة التريبت والاحتفاء ، ولا يزال كذلك حتى يئأس ويسأم فيولى وجهه شطر العوبة يتلهى بها أو شغلة أخرى من الشواغل البديعة التى يفرضها على نفسه

ولا يفرضها أحد عليه ، وأولها حراسة الباب والعواء على من يصعدون السلم أو يهبطونه .

وقد تبعنى اليوم إلى المكتب ونظر إلى قليلاً ثم غادر المكان الملعون يائساً عابساً دون أن يلح فى الانتظار والمناورة . لأنه تعلم بالمرانة الطويلة أن الانتظار فى هذا المكان لا يفيد . وأن الكلب العاقل الرشيد هو الذى يغادر مكان الكتب والأوراق بغير تدبر ولا تأمل ولا إطالة . والحق معه حتى فى آراء الأناسى العقلاء الراشدين .

وقد أردت اليوم أن أدهشه وأخلف عادته فرفعت رأسى من الورق فى بعض جيئاته وصحت به منادياً : ييجو ! ييجو ! تعال ! إن كتابتى اليوم تعنيك . ألا تريد أن تقرأ ما كتبت ؟ فوجم ولم يكذب يصدق أذنيه . وتردد لحظة ثم قفز إلى الكرسي فالمكتب حيث الورق الذى أخط عليه هذا المقال . كأنه يريد حقاً أن يقرأه ويستطلع ما فيه ، وكأنه لا يفضل بالعقل والرشد أولئك الأدميين الذين يعينهم ما يكتب عنهم الكاتبون كما ظننته لأول وهلة . ولكنه ما لبث أن أخافنى من أسلوبه فى القراءة والمطالعة .

لأنه هو والتمزيق فى عرفه شىء واحد ، وهل هو بدع فى أسلوبه وهذا شأن كثير من الأدميين الذين أكتب عنهم ؟؟
فنحيته برفق وحملته إلى الباب وأرسلته فى الدهليز وعدت إلى المكتب فأقفلته ، ولا أزال أسمع نباحه يلاحقنى بلهجات تتراوح بين الاستغراب والشكاية والسباب ! .

ويجب أن أعترف للقراء بأن كلبى «بيجو» ليس بكلبى على التحقيق ، ولكنه كلبى فى شريعة الدعوى والاغتصاب . أو هو كلب صديقى العزيز «فيفى» الذى لم يجاوز السنتين إلا منذ شهرين ^(١) . ولا أخاله إلا مطالبى به قريباً بعد أن زال الموجب لإقصائه وهو انحراف صحته فى موعد التسنين وفيما أصابه على أثر ذلك من مصاب أنقذه الله من خطره الشديد .

والأصل فى المصائب أن تجمع بين الأصدقاء لا أن تفرق بينهما كما افترق فيفى وصديقه بيجو . ولكن اللوم فى هذا الافتراق على صداقة بيجو دون غيرها - أى على إفراطه فى الصداقة لا على تقصيره فيها - فمعاذ الله أن يتهم كلب بخيانة الأصدقاء .

كان بيجو يرى «فيفى» على سريره ساكناً من التعب والإعياء فلا يحسب أن شيئاً تغير بينه وبين مولاه . ويقفز إلى السرير ليعرض خدماته التى لا يكل عنها ولا يتوانى فيها وهى الموائبة والملاعبة واصطناع العض والمصارعة ومولاه فى شاغل عن ذلك ، ولكنه هو لن يقبل العذر ولن يعرف شاغلاً أهم من تلك الخدمات المفروضات .

وإذا أقبل الطبيب وصرخ (فيفى) من مقاربتة وجسه وفحصه كما يصرخ جميع الأطفال من جميع الأطباء فما هى إلا لحظة كأسرع ما يكون لمح البصر وإذا بأنياب (بيجو) توشك أن تنغرس فى ساق الطبيب الذى يعتدى على مولاه بما يبكيه ! أما إذا ربطوه

(١) هو موفق ، ابن الأستاذ حافظ جلال وكانوا يلقبونه «فيفى» .

اتقاءً لهذه المفاجآت فلا راحة ولا قرار فى البيت كله لا لمولاه
العزیز ولا للنائمين حوله أو الساهرين عليه .

لهذا عوقب (بيجو) على إفراط صداقته بالنفى من جوار مولاه
فى أثناء توقعه وانحراف مزاجه ، ورضيت أنا أن أتولى مؤاساته
وحراسته أيام منفاه حتى تنجلي الغاشية فيعود إلى مأواه .

وما انقضت فترة وجيزة حتى أصبح (بيجو) شخصية من
شخصيات البيت المحدودة . وحتى فرض على نفسه واجبات
وأعمالا لم يفرضها عليه أحد ، ولكنه يغضب ويتذمر إذا أنت
قاطعته فيها أو عوقته عنها ، كأنك تحسبه مخلوقاً عاطلاً لا يصلح
لعمل ولا يؤتمن على واجب . . . عرف الفرق بين جرس التليفون
وجرس الباب فلا يدق هذا أو ذاك إلا أسرع إلى الإجابة وغضب
من الخادم كلما سبقه إلى غرضه ، فتظاهر بَعْضُهُ والوثوب عليه .

ومن عجائب ذكائه أنه إذا سمع جرس الباب أسرع إلى الباب
ولم يفعل كما تعود أن يفعل حين يسمع جرس التليفون . مع أن
جرس الباب يدق فى المطبخ حيث يكون الخادم ولا يدق فى المكان
الذى يجرى إليه . ولعله عرف أن فتح الباب هو المقصود بدق
الجرس فى المطبخ كلما جرى الخادم لفتحه على إثر سماع دقاته ،
ولكن تفريقه بين الجرسين براعة تشهد له بالقدرة على مزاولة
الأعمال والواجبات .

ومن الأعمال والواجبات التى فرضها على نفسه ولم يفرضها
عليه أحد أنه لا يدع إنساناً ولا حيواناً يصعد السلم إلا أدركه
بنباح الاحتجاج من وراء الباب ، فيعدو أمامى ويعود إلى ولا يزال

يرقص ويتوثب حتى أجزيه على استقباله بالتحية الواجبة والتربيت المحبب إليه . الأجل الطعام يهش لى (بيجو) هذه الهشاشة ويرعانى هذه الرعاية ؟ أنا أود من الباحثين فى طبائع الحيوان أن يراجعوا ملاحظاتهم وأحكامهم فى أسباب التألف والمودة بين الحيوان والإنسان . فإن إطعام الكلب ولا شك سبب من أسباب وفائه وتعلقه بأصحابه . ولكن لا شك أيضاً فى أن الكلاب تفهم للمودة أسباباً غير الإطعام وتدرک معنى من معانى الصلة النفسية ليس مما يرتبط بالمنافع .

وأوضح دليل على ذلك أن (بيجو) يعتبر نفسه تابعاً لمولاه (فيفى) ولا يعتبر نفسه تابعاً لأبيه أو خادم أبيه وكلاهما يطعمه ويلاطفه ويسقيه . أما (فيفى) فهو لا يطعمه ولا يسقيه ولا يتورع عن خطف طعامه إذا ساغ فى مذاقه ، وقد يتبرم به فيضربه أو يقبض على لسانه أو يضع إصبعه فى عينيه ، وبيجو فى كل ذلك لا يقابل الأذى بمثله ولا يفتأ متعلقاً بالطفل أشد من تعلقه بآله وذويه .

فلما زارنى (فيفى) مع أبيه بعد شفائه ونجاته من خطره كان المعقول المنظور أن يخف (بيجو) إلى الأب الكبير الذى يعنى بإطعامه وإيوائه ويشمله بمودته . غير أنه التفت أول ما التفت إلى (فيفى) العزيز دون غيره ، وتهافت عليه يعانقه ويلحس وجهه بلسانه ويئن أنيناً من فرط حنينه وفرحه ، وجهدنا جهداً شديداً فى التنحية بينه وبين مولاه الصغير لفرط ما أرقهه بتحياته ومجاملاته . وكنا سبعة منا أستاذ فى علم الزراعة والحيوان وأخ له

أديب جمّ الإطلاع وصديق مهذب من أدباء الموظفين وسيدة إنجليزية وابنها اليافع ووالد فيفى وكاتب هذه السطور . فأتعبنا الكلب الأمين الودود جد التعب ونحن نبعده من هنا فيرجع من هناك على حال من اللهفة والاشتياق تجلب الدمع إلى الآفاق . فماذا بين بيجو ومولاه فيفى من البر والمجارة غير الصلة النفسية التى لا شأن لها بالطعام والشراب ؟ ولماذا يحسب نفسه تابعاً للطفل ولا يحسب نفسه تابعاً لأبيه ؟ إنه لا يفقه أنهم اهدوه إلى فيفى الصغير ليكون لعبته وحارسه وعشيرته ، ولكنه قد يفقه أنه نذّه وقرينه بواشجة الطفولة والملاعبة الصبيانية ، وهى على كل حال واشجة غير وشائج المنافع والطعام والشراب .

ويشبه هذا فى الدلالة على إدراك الخلائق العجماء للصلات النفسية أن (بيجو) لا يطيق (الطاهى) أحمد حمزة ولا يرتاح إلى رؤيته ولا يسمع النداء على اسمه حتى يحسبه تهديداً له بالعقوبة والإقصاء . . . وهو مع هذا يألف فراش المنزل (محمداً) ويهش له ويستريح إلى مصاحبته فى المنزل وفى الطريق . فلم كانت هذه التفرقة عنده بين هذا وذاك ؟! كلاهما يقدم له الطعام ، ويزيد صديقه (محمد) بتجريعه الدواء الذى يتعاطاه لعلاج السعال أحياناً وهو يمجته وينفر منه أشد النفور . غير أن الطاهى (أحمد حمزة) يتحاشى (بيجو) خوفاً من النجاسة فيشعر (بيجو) بخفائه ويلقاه بمثله ، ويحتمل التجريح والغصص من زميله لأنه يحتفى به ويأنس إليه .

ومن إدراكه (للمعانى) الفكرية أنك إذا لمست بالعضا وهو غافل

عن رؤيتها فهو لا يبالي ولا يحفل ولا يحسبك غاضباً أو قاصداً لعقابه . ولكنه إذا التفت إليك ورأى أن العصا هي عصا التأديب التى تخوفه بها ظهر عليه الرعب أو ظهر عليه الأسف والتوسل ، كأنه يقرن بالعقاب معنى غير معنى الضرب وألمه ، وهو استياء سيده وإعداده له عدة العقاب . . .

والخلاصة أن (بيجو) مخلوق مفيد ومخلوق أنيس ، وهو أفيد ما يكون فى المكتبة التى يملكها ويستثقل ظلها ، لأننى استفدت على يديه فوائد جليلة وأنا أقرأ بعض الكتب الحديثة فى علم النفس وعلم الاجتماع .

يقول علم النفس : إن التعاطف فى التربية والتعليم أنفع وأنجح من تبادل الأفكار ، وبيجو يؤكد لى ذلك لأننى أرى منه أن الكلاب أسرع تعلمًا من القردة وهى أرفع فى مرتبة التكوين والإدراك . وإنما فاقت الكلاب القردة بسرعة التعلم لأنها عاشرت الإنسان طويلاً فاتصلت بينه وبينها العاطفة وإن لم يتقارب بينه وبينها تركيب الأعصاب والدماغ .

ويقول علماء الاجتماع من أنصار (الفاشية) . إن الغرائز لا تتبدل وإن الحرب والعدوان غريزة الإنسان . فلا فائدة لوعظ الواعظين بالسلام ونصح الناصحين بالإخاء والعدل والمساواة . وبيجو يدحض ذلك أيما إدحاض ، لأنه تحدر من سلالة الذئاب فما زالت به التربية والمصانعة حتى أصبح حارس الأطفال والحملان . وقد كان قبل ذلك آفة كل طفل من بنى الإنسان وكل صغير أو كبير من أبناء الضأن .

ويعد (بيجو) بحق من أحسن الشراح للعالم الروسى العظيم (بافلوف) صاحب التجارب المشهورة فى إخوان بيجو من الكلاب الروسية . فإنه جرّب أن الكلب يسيل لعابه إذا شاهد الطعام . فقرن بين تحضير الطعام له ودق الجرس على مقربة منه . فإذا بفمه يتحلب كذلك كلما دق الجرس ولو لم تصحبه رؤية طعام فبنى على ذلك مذهبه فى مقارنات العواطف ومصاحبات الشعور وظواهره الجسدية .

وجاء علماء النفس والتربية فاستفادوا من ذلك فوائد شتى فى علاج الخوف والجشع والعادات الذميمة التى يصعب علاجها فى بعض الأطفال ، فجعلوا يقرنون الشئ الخيف بالشئ المحبوب ليعودوا الطفل أن يسكن إليه ولا يخشاه ، وقرنون الشئ المرذول الذى يحبه الطفل بالشئ المزعج الذى يقصيه عنه وينفره من إتيانه ليقلع عن ذميم الخلال بداهة وعفوًا بغير أمر ولا إلحاح .

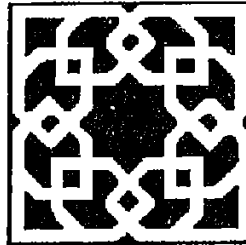
بيجو خير مفسر لهذا المذهب النافع الذى كان الفضل الأول فيه لواحد من أبناء جنسه . فقد عهدته فى منزله الأول وليس أبغض إليه من السلسلة والطوق ، لأنهم كانوا يقيّدونه بهما فى حديقة الدار كلما أضجرهم بعبثه وفضوله .

فلما جاء عندى وليس للمنزل حديقة واسعة أطلقه فيها أصبحت السلسلة والطوق من أحب الأشياء إليه وأدعاهما إلى طربه وابتهاجه . . . لأنه تعود كلما ربط بالسلسلة والطوق أن يخرج مع الخادم لغشيان الطريق وقضاء ساعته المنذورة للمرح والرياضة فى الخلاء .

ولبيجو فنون أخرى يشارك فى تفسيرها وتفهمها وقضاثل شتى
يتبرع بهداياها ومزاياها ، وإن فى بعض هذا لما هو حسبنا من تقدير
للأستاذ بيجو والصدىق بيجو والزائر الكرىم بيجو . الذى نخشى أن
نسطو عليه ، لفرط ما نستفيد منه ونأنس إليه .

* * *

والآن وقد عرف القارئ من هو (بيجو) لا أرانى بحاجة إلى
اعتذار من الحزن والوفاء لذكره . فإنه لم يخطئ فى وفائه ولم
يخطئ فى خلقته . ولم يخلق إنساناً فدنس الإنسانية بالغدر ،
ولكنه خلق كلباً فشرف الحيوانية بالوفاء .



بيجو

حزنًا على بيجو تفيض الدموع
حزنًا على بيجو تثور الضلوع
حزنًا عليه جهد ما أستطيع
وإن حزنًا بعد ذاك الوكوع
والله - يا بيجو - لحزن وجيع

حزنًا عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مسامرى حينًا ومستقبلى
وسابقى حينًا إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

وكلما داريت إحدى التحف
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبّهت وبى من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف ...
ذلك خير من فؤاد صديع

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الأبواب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى

وكلما اطمأنت في مسكني
مستغنيا . أو غانيا بالقنوع

وكلما نادتيه ناسيا :
بيجو ! ولم أبصر به أتيا
مداعبا مبتهجا صاغيا ...
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

نسيت ؟ لا . بل ليتني قد نسيت
حسبني ذاكرة ما حييت
لو جاءني نسيانه ما رضيت
بيجو مُعزّي إذ ما أُسيت^(١)
بيجو مناجي الأمين الوديع

بيجو الذي أسمع قبل الصباح
بيجو الذي أرقب عند الرواح
بيجو الذي يزعجني بالصياح
لو نبحة منه ، وأين النباح ؟
ضيعت فيها اليوم ما لا يضيع

خطوته .. يا برحها من ألم
يخدش بابي وهو ذاوى القدم

(١) أُسيت : شعرت بالأسى .

مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بنظرة أنطق من كل فم
طول ما ينظر . ! هذا فظيع

نم لا أرى النوم لعيني تطيب
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قطمير هواكم عجيب (١)
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . . ولا من طلوع

نم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يُحد
عيناى فى ذاك وهذا الجسد
عيناى فى ذاك وهلذا الجسد
بوشحة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

أبكىك . أبكىك وقلّ الجزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعام وماء
لو صبح هذا ما مَحَضْتَ الوفاء
لغائب عنك . وطفل رضيع

(١) قطمير هو اسم كلب أهل الكهف .

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	٣	دنيا مقلوبة.....	٢٤
مقدمة - فى اسم الديوان	٥	الحب.....	٢٤
فى العالم		الطير المهاجر.....	٢٤
يا رب .. ويا خلق.....	١٥	الصدار الذى نسجته.....	٢٥
عباد الطفيان.....	١٥	قولى مع السلامة.....	٢٦
قريب قريب.....	١٦	الغيرة.....	٢٧
فصد.....	١٦	هبة لا تنقل.....	٢٧
الخلود المزدرى.....	١٦	بعض الزراية.....	٢٨
سوء توزيع.....	١٧	قبل السكر.....	٢٨
بأس الطغاة.....	١٧	لغير البيع.....	٢٨
الداء العالمى.....	١٧	جزاء التحدى.....	٢٩
قلت للمريخ.....	١٨	اعفاء.....	٣٠
جزاء الله.....	١٨	الحب الضاحك.....	٣٠
فى النفس		زهرة ديسمبر.....	٣١
هذا هو الحب.....	٢٠	من تقليد «نشيد الأناشيد».....	٣١
عمر زهره.....	٢١	مزيج.....	٣٢
كوبيد يتسلل.....	٢٢	مسابقة.....	٣٣
مسرة واحدة.....	٢٤	لا تخلفى.....	٣٣

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أخلفى	٣٣	اللذات والويلات	٤٧
بنت البحر	٣٣	عجائب	٤٨
اكذبيني	٣٣	عدنا والتقينا	٤٨
تقوم العام	٣٤	نذر مقبول	٥٠
وعام ثان	٣٥	من الأستاذ عماد	٥١
وعام ثالث	٣٧	إلى الأستاذ عماد	٥٣
بعد سنة	٣٩	طلاء النفس	٥٥
المرأة والخداع	٤٢	بنيتها	٥٥
رواية	٤٢	هنت والله	٥٧
لغيرك	٤٣	فراغ فراغ	٥٨
ماذا استفدت؟	٤٤	فى مصر	
تربصى	٤٤	غيث الصحراء	٥٩
فهمان	٤٥	تمثال سعد	٦٢
كيف؟	٤٦	ثناء على ماهر	٦٥
مصبيتان	٤٦	عيد الجهاد ١٩٤٠	٦٦
ندم!	٤٦	إلى مهرجان السودان	٦٨
حلم الأبد	٤٦	فى عالم الذكرى	
عيوبك	٤٧	ثلاث عشرة حجة	٦٩
مساومة	٤٧	تحية زعيم راحل	٧١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
على قبر إبراهيم	٧٤	رأى الناس	٩٣
آه من التراب	٧٥	بين هم وسامة	٩٣
عام محمد	٧٩	الطيش والحزم	٩٤
الشهيد معاوية	٨٢	يا كتبي	٩٤
عبد القادر	٨٣	عجز أو قدرة	٩٦
هناؤه		جواب جميل	٩٦
تفسير حلم .	٨٦	الفقير	٩٧
صوت السود ..	٨٦	ويلنا	٩٧
شعر الأسود	٨٧	سيان	٩٧
القمر والظلام	٨٧	أتمنى	٩٨
صلاح الأثير	٨٨	الصرف والمزيج	٩٨
إلى المستمع العربى بلندن	٩٠	خداع النفس	٩٩
بين التعب والراحة	٩٢	كيمياء وصيرفى	٩٩
هذا هو التاريخ	٩٢	جنة الخيام	٩٩
النقد	٩٣	بيجو	١٠١
الظن	٩٣		

من مؤلفات عملاق الأدب العربي الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

- ١ - الله
- ٢ - إبراهيم أبو الأنبياء
- ٣ - مطلع النور أو طوابع البعثة الحمديّة
- ٤ - عبقرية محمد ﷺ
- ٥ - عبقرية عمر
- ٦ - عبقرية الإمام على بن أبي طالب
- ٧ - عبقرية خالد
- ٨ - حياة المسيح
- ٩ - ذو النورين عثمان بن عفان
- ١٠ - عمرو بن العاص
- ١١ - معاوية بن أبي سفيان
- ١٢ - داعي السماء بلال بن رباح
- ١٣ - أبو الشهداء الحسين بن على
- ١٤ - فاطمة الزهراء والفاطميون
- ١٥ - هذه الشجرة
- ١٦ - إبليس
- ١٧ - جحا الضاحك المضحك
- ١٨ - أبو نواس
- ١٩ - الإنسان في القرآن
- ٢٠ - المرأة في القرآن
- ٢١ - عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده
- ٢٢ - سعد زغلول زعيم الثورة
- ٢٣ - روح عظيم المهاتما غاندى
- ٢٤ - عبدالرحمن الكواكبي
- ٢٥ - رجعة أبى العلاء
- ٢٦ - رجال عرفتهم
- ٢٧ - سارة
- ٢٨ - الإسلام دعوة عالمية
- ٢٩ - الإسلام فى القرن العشرين
- ٣٠ - مايقال عن الإسلام
- ٣١ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
- ٣٢ - التفكير فريضة إسلامية
- ٣٣ - الفلسفة القرآنية
- ٣٤ - الديمقراطية فى الإسلام
- ٣٥ - أثر العرب فى الحضارة الأوربية
- ٣٦ - الثقافة العربية
- ٣٧ - اللغة الشاعرة
- ٣٨ - شعراء مصر وبيئاتهم
- ٣٩ - أشتات مجتمعات
- ٤٠ - حياة قلم
- ٤١ - خلاصة اليومية والشذور
- ٤٢ - مذهب ذوى العاهات
- ٤٣ - لا شيوعية ولا استعمار
- ٤٤ - الشيوعية والإنسانية

٤٥ - الصهيونية العالمية	٥٧ - مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٤٦ - أسوان	٥٨ - دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٤٧ - أنا	٥٩ - آراء فى الأدب والفنون
٤٨ - عبقرية الصديق	٦٠ - بحوث فى اللغة والأدب
٤٩ - الصديقة بنت الصديق	٦١ - خواطر فى الفن والقصة
٥٠ - الإسلام والحضارة الإنسانية	٦٢ - دين وفن وفلسفة
٥١ - مجمع الأحياء	٦٣ - فنون وشجون
٥٢ - الحكم المطلق	٦٤ - قيم ومعايير
٥٣ - يوميات - جزء أول	٦٥ - ديوان فى الأدب والنقد
٥٤ - يوميات - جزء ثانى	٦٦ - عبد القلم
٥٥ - عالم السدود والقيود	٦٧ - ردود وحدود
٥٦ - مع عاهل الجزيرة العربية	



من شعر عملاق الأدب العربي
عباس محمود العقاد

- | | |
|-----------------------|------------------------|
| ١. ديوان يقظة الصباح | ٦. ديوان عابر سبيل |
| ٢. ديوان وهج الظهيرة | ٧. ديوان أعاصير مغرب |
| ٣. ديوان أشباح الأصيل | ٨. ديوان بعد الأعاصير |
| ٤. ديوان وحي الأربعين | ٩. ديوان عرائس وشياطين |
| ٥. ديوان هدية الكروان | ١٠. ديوان أشجان الليل |

١١. ديوان من دواوين